بلاغة السنة النبوية
في حمايتها للملكية الفكرية
(دراسة تحليلية)

إعداد

د/ عبير متولى عوض
المدرس بقسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

بلاغة السنة النبوية في حمايتها للملكية الفكرية (دراسة تحليلية)

عبير متولي عوض سيد أحمد.

قسم البلاغة والنقد بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة.

البريد الإلكتروني: Asayedahmed127.el@azhar.edu.eg

الملخص:

تناولت في البحث قضية من أهم قضايا العصر ألا وهي الملكية الفكرية من خلال تحليل مفهومها وكيفية تقريرها في السنة النبوية، وكيف قامت السنة النبوية بحماية الملكية الفكرية، وكيف دعا النبي ﷺ إلى الفكر وإثارة الذهن، وسلطت الضوء على بلاغته ﷺ، وكشفت عن سمات أسلوبه النبوي المعجز، وبينت أهم خصائصه التي تجعل المعني يخلص إلى القلب فور وصوله إلى السمع.

كما قمت بالكشف عن جمال الأسلوب النبوي الفني بأبعاده الإقناعية والتأثيرية، وسر الجمال الفني في البلاغة النبوية،

كما بينت أن الإسلام في عقيدته الراسخة وتاريخه المديد حرص على إفساح المجال لإبداعات العقل الإنساني بما يعود بالنفع على الإنسانية، وكيف دعا لحمايتها، والإسلام بهذا المسلك سبق كل القوانين والنظم التي تحدثت عما يعرف حديثا بحقوق الملكية الفكرية.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، حقوق، الملكية، الفكرية، حماية، السنة، النبوية.

The rhetoric of the Prophet's Sunnah (the traditions and practices of the Islamic prophet, Muhammad) in its protection of intellectual property (analytical study)

Abeer Metwally Awad Sayed Ahmed.

Instructor of Rhetoric and Criticism, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura

University email: Asayedahmed 127.el@azhar.edu.eg

Research Summary

In the research, I dealt with one of the most important issues of the era, which is intellectual property by analyzing its concept and how to determine it in the Prophetic Sunnah, and how the Prophetic Sunnah protected intellectual property, and how he called - may the blessings of Allah be upon him - to think and stir the mind, and shed light on his eloquence, may the blessings of Allah be upon him.

I also revealed the beauty of the artistic prophetic style with its persuasive and influential dimensions, and the secret of artistic beauty in prophetic rhetoric.

It also showed that Islam, in its firm belief and its long history, was keen to make room for the creativity of the human mind in a way that would benefit humanity, and how it called for its protection, and Islam in this way preceded all the laws and regulations that spoke about what is newly known as intellectual property rights.

Keywords: rhetoric, rights, property, intellectual, protection, Sunnah, prophetic.

المقدمة

الحمد لله عظيم الإحسان واسع الفضل والجود والامتنان، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد النبي العدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وسهل أخلاقنا بالحلم، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وبعد

فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، فمن القرآن الكريم، والسنة النبوية تنطلق التشريعات والقوانين التي تحمي حقوق البشر جميعًا، وتحمي ملكيتهم وملكية أفكارهم من أن يعتدي عليها أحد، أو أن يسلب منهم أهم ما يمكن أن يحصلوا عليه ألا وهو فكرهم.

فقد حرص الإسلام في عقيدته وتشريعاته وتاريخه المديد على إفساح المجال لإبدعات العقل الإنساني كله، وتسجيل هذه الإبداعات بما يعود بالنفع على بني الإنسان ؛ ولهذا رأينا النص القرآني يقسم بالنون والقلم وما يسطره فقد قال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[١]، ويفرض نبينا الكريم - ﷺ- التماس العلم وتدوينه وحمايته، والبحث عن الفكر، والعمل على إثارة الذهن.

كما كان للعقل المسلم دور بارز في وضع ضوابط شرعية، تدفع الإنسان للإبداع الذهني، وتحمي فكره، وتحمي حق العالم المادي والمعنوي، وتجرم السرقات الأدبية، أو التزوير أو التقليد، وتجعل توثيق الجملة المنظومة من أبرز مظاهر حقوق الإبداع وحماية الفكر الإنساني من الضياع، والإسلام بهذا المسلك سبق كل القوانين والنظم التي تحدثت عما يعرف حديثًا بحقوق الملكية الفكرية.

لقد سلك كل من القرآن والسنة النبوية المطهرة مسلكًا يحتذى به في بيان الملكية الفكرية.

إن الأسلوب القرآني يذكر لنا طريقًا قد سبق فيه غيره، وعلم البشرية الأمانة، وطالبهم بالإنصاف فقال تعالى:﴿**وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ**﴾[٢]، وقال

---

(١) سورة القلم آية (١).

(٢) الأعراف آية ٨٥، هود ٨٥ والشعراء ١٨٣.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [٢].

وكذلك السنة النبوية، فقد ورد عن ابن مسعود -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **" إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"**[٣].

وقال ﷺ: **" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة "** [٤].

ومن هنا يتضح لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حرصا على إسناد القول لقائله، وحماية من سبق إليه ؛ إذ أن الكلام ملك لصاحبه، ولو لم يكن ذلك كذلك فكيف إذا يسمى الصادق صادقًا، والكاذب كاذبًا؟ ولما ترتب على القول ثواب وعقاب في الدنيا والآخرة.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ميدانًا للبحث والدراسة ما يلي:

أهميته:

١- ويكتسب هذا البحث أهميته من خلال تناوله لقضية من أهم قضايا العصر ألا وهي: الملكية الفكرية من خلال تحليل مفهومها، وكيفية تقريرها في السنة النبوية، وكيف قامت السنة بحمايتها.

٢- الكشف عن سمات الأسلوب النبوي في الأحاديث التي اشتملت على

---

(١) الأحزاب ٣٥.

(٢) محمد ٣١.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٠٩٤)، ومسلم رقم (٢٦٠٧).

(٤)أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، ٦٦٨/٤ ح٢٥١٨ ، والنسائي في سننه، كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات، ٣٢٧/٨ ح ٥٧١١، والدارمي في سننه، كتاب البيوع، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، ٣١٩/٢ ح ٢٥٣٢، والحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، ١٥/٢ ح ٢١٦٩.

حماية الملكية الفكرية، وإبراز أهم خصائصه التي تجعل المعنى يخلص إلى القلب فور وصوله إلى السمع، فالسنة النبوية تمثل ذروة البيان البشري، وتتبوأ المكانة التالية بعد القرآن الكريم.

٣- أن النص الحديثي لم ينل من العناية والاهتمام في الكشف عن جماله الفني بأبعاده الإقناعية والتأثيرية إلا بجهود ضئيلة، ودراسات تحليلية قليلة، قياسًا إلى المؤلفات التي كتبت في علوم الحديث، سواء التي كتبت في السند والمتن، أو ما يتصل بالمجالات الفقهية والشرعية المستمدة منه.

٤- ومن أهم الدوافع إلى إيثار هذا البحث هو العيش في رحاب السنة تقربًا إلى الله – عز وجل- بدراسة أحاديث رسوله ﷺ فما أجملها من حياة !

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والخطة التي انتظم فيها البحث.

وفي التمهيد ذكرت فيه تعريفًا لمصطلحات البحث.

أما المبحث الأول فكان بعنوان:

" بلاغة السنة النبوية في الدعوة إلى الفكر ".

والمبحث الثاني كان بعنوان:

" بلاغة السنة النبوية في حمايتها للملكية الفكرية".

وقد سلكت في البحث المنهج التحليلي، والذي يقوم على تتبع دلالات التراكيب التي تضمنتها الأحاديث محل الدراسة، وحللتها تحليلًا بلاغيًا يميط اللثام عنها، ويكشف عن دقة بلاغتها من حيث اختيار ألفاظها، وبناء أساليبها، وتراكيب جملها، وإبراز دور تعانق الكلمات والجمل والحروف من أجل الوصول إلى المعنى المراد، مع مراعاة عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث وضبطها بالشكل مع الإشارة إلى اسم الكتاب والجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث.

الهدف من البحث:

وتقدمت بهذا البحث لتحقيق عدة أهداف منها:

١- إلقاء الضوء على الملكية الفكرية، وكيفية حمايتها والمحافظة عليها من خلال الأسلوب النبوي.

٢- الوقوف على سمات أسلوبه ﷺ البلاغية.

٣- الوقوف على مدى إسهام السنة النبوية في حماية الملكية الفكرية، ولتحقيق أهداف البحث قُمت ببيان المقصود بالملكية الفكرية، وإظهار مدى إسهام الأسلوب النبوي في حماية السنة النبوية للملكية الفكرية.

وختامًا أسأل الله – تعالى – أن يتقبل هذا العمل، وأن يتجاوز عما وقع فيه من خطأ أو ذلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحثة

***

التمهيد

الحماية في اللغة من " حَمَي الشيء يَحْميه حَمْيًا وحِماية بالكسر، وحْمَى المريضَ ما يَضُره: منعه إياه فاحتمىْ والحِمَى: ما حُمِيَ من شيء، والحماية: الرجل يحمي أصحابه، وحَمَى المكان: جعله حِمىً لا يُقْرب "[١].

مفهوم الملكية الفكرية:

أولاً: تعريف الملكية:

في اللغة: مَلَكه يَمْلِكُه مَلْكًا: احتواه قادرًا على الاستبداد به " [٢].

وعند ابن سيدَهْ: المَلْكُ والمِلْك احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، ومَلَكَه يَمْلِكه مَلْكا ومُلْكًا وتملكًا، ومَلَكه، وما له مَلْك، ومِلْكُ ومُلْك أي شيء يَمْلكُهُ[٣].

أما في الاصطلاح:

هي اختصاص حاجز شرعًا لصاحبه التصرف إلا لمانع، ويتضح من التعريف أن المِلك هو عبارة عن علاقة الإنسان بالمال، وما في حكمه من المنافع، فهو التصوير التشريعي لهذه العلاقة وثمرتها وحددوها، وبذلك يتبين أن المَلَكية ليست شيئًا ماديًا، وإنما هي حق من الحقوق، والحق نوع من الاعتبار الشرعي[٤].

فلا يشترط أن تقتصر الحقوق على الأشياء المادية بل يتعداها إلى الأشياء المعنوية كالنتاج الفكري، وثمرة العقل.

فالمِلكية أو المِلك عمومًا: علاقة بين الإنسان والمال، أقرها الشرع تجعله مختصًا به، ويتصرف فيه بكل التصرفات ما لم يوجد مانع من التصرف، فهو عبارة عن اختصاص بالشيء يمنع الآخرين منه، ويمكن صاحبه من التصرف فيه ابتداء إلا لمانع شرعي"[٥].

---

(١) مختار القاموس للطاهر محمد الرازي ص ١٥٧ دار عالم الكتب.

(٢) مختار القاموس للطاهر محمد الرازي، ٥٨٢ دار عالم الكتب.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٠/ ١٩٢، مادة ملك.

(٤) المدخل الفقهي العام: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد / مصطفى الزرقا ١/ ٢٤١ - ٢٤٢ ط ٩ دار الفكر.

(٥) ينظر الفقه الإسلامي وأدلته وهبه الزحيلي ط ٣ دار الفكر ١٣٩٣هـ ـ١٠٩٠م، ٣/٤، فتح القدير للشوكاني ٧٤/٥، الفروق للقرافي ٣/ ٢٠٨، ٢٠٩.

وعليه فإن نتاج الفكر وانفراده بما ينتجه بصفات مخصوصة متميزة عن غيره، ويجعله حقًا خاصًا بمن ابتدأه وأنتجه ينتفع به، فهو حق ومنفعة على رأي جميع العلماء" [١].

والمنافع والأشياء كثيرة متجددة في حياة البشر تتزايد وتتكاثر بحسب الظروف والحاجات.

ومن هذه الأشياء التي تجلب المنافع النتاج الفكري، ومنفعته: مستخرجاته من الأفكار التي تؤلف كتبا وعلومًا، واجتهادات وأقوالاً من المباحات التي لا تضر بمصالح الآخرين ؛ ومن غير المعقول أن يترك الحبل على الغارب لكل من يريد أن يأخذ ثمرة فكر غيره ويدعيها لنفسه، وينتفع بها، ويبقى مَنْ أنتجها وابتكرها لا حول له ولا طول في حماية بنات أفكاره، وعصارة خبراته ؛ لذا وضعت الشريعة الغراء ما يحفظ ذلك الحق لصاحبه.

ولما كان إحراز المِلك حقًا لِمَنْ أحرزه بشرطين: السبق وقصد التملك؛ فإن نتاج الفكر، واستنباطاته التي يسبق فيها غيره حق وملك[٢] فالقاعدة تقول: " من سبق إلى مباح ملكه" و" الأمور بمقاصدها" [٣].

والسنة النبوية المطهرة قد دعت إلى حماية حقوق الصحابة في السبق الفكري، وحماية أفكارهم من أن يعتدي عليها أحد، فبمجرد ظهور الفكرة في ذهن أحدهم يمنع غيره من أن يعتدي على فكرته، ومن ذلك ما حدث مع الصحابي الجليل " عكاشة بن محصن" حين سأل أن يكون مع السبعين ألف، الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فلما حاول غيره أن يتبعه في فكرته قال ﷺ: سبقك بها عكاشة، كما فعل مع غيره من الصحابة، وفي هذا دليل واضح على أن المنهج النبوي قد حرص على حماية نتاج الفكر والإسلام ، وبهذا المسلك سبق كل القوانين والنظم التي تحدثت حديثًا عما يعرف بحقوق الملكية الفكرية.

تعريف الفكرية:

الفكرية لغة: مأخوذة من الفِكر بالكسر، وهو: أصل يدل على تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّير كثير الفكر[٤].

---

(١) المدخل الفقهي العام ١/ ٣٣٢.

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادي ط دار صادر ١٩٩٢م.

(٣) موسوعة القواعد الفقهية ١٨٥/٩ لمحمد صدقي آل بورنو، ١٢٠/١ ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) لسان العرب، مادة فكر، ٦٥/٥ – دار صادر بيروت الطابعة الثالثة ١٤١٤هـ.

والفكر: إعمال الخاطر في الشيء [١]، والتفكر اسم التفكير: التأمل، والاسم في الفكر والفكرة، والمصدر: الفَكْر.

وفَكَّر في الأمر فَكْرًا: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ؛ ليصل إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فكرَ فيه، فهو مفكر، وفَكَّر في الأمر: مبالغة في فَكَر، وهو أشيع في الاستعمال من فَكَر.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن لفظة التَفَكّر لا التفكير "وردت في سبع عشرة آية، أما التي جاءت بها كلمة فَكَّر فواحدة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر**﴾[٢]، والتفكر هنا يعني الاستبصار والاعتبار والنظر[٣].

أو يعني التصرف بالنظر في الدلائل التي توصل إلى الإيمان بالله.

ومعنى ذلك أن كلمة **(الفكرية)** في القرآن الكريم تعني إمعان النظر والبصر للوصول إلى الأحكام، وأن التفكر يؤدي وظيفة عظيمة تتمثل في زيادة أنواع المعارف وحقائق الإيمان ؛ إضافة إلى استخراج العبر، واستنباط الأحكام.

وأما الفكر اصطلاحًا: فله تعريفات متعددة منها أنه: إعمال العقل في أمر مجهول، وترتيب أمور في الذهن توصل بها إلى معرفةٍ حقيقية أو ظنية"[٤].

وأنه إعمال الإنسان لإمكاناته العقلية في المحصول الثقافي المتوفر لديه بغية إيجاد بدائل أو حل مشكلات، أو كشف العلاقات والنسب بين الأشياء" [٥].

ومن خلال هذين التعريفين ندرك أن الفكر ليس شيئًا مطابقًا للأحكام والمبادئ، ولا مطابقًا للثقافة أو العقل أو العلم، وإنما هو استخدام نشط لكل ذلك بغية الوصول إلى المزيد من الصور الذهنية عما يحيط بنا من أشياء، وأحداث، ومعطيات.

كما يعرفه البعض بأنه: عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية غير المرئية التي تقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة

---

(١) دائرة المعارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ص ٣٥٨ دار المعرفة بيروت ط ٢.

(٢) المدثر ١٨ - ١٩.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي تقديم بدوي طبانة ٤١٠/٥ ط دار صادر بيروت.

(٤) ينظر حماية الملكية الفكرية في الشريعة الإسلامية مكة المكرمة – جامعة أم القرى، ناضر الغامدي ص ١٢، المصباح المنير أحمد الفيومي المقري ص ١٨٢ مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

(٥) الفكر طبيعته وأهميته عبد الكريم بكار ص ٢ دار المعارف ط ٢٠٠٥م.

أو أكثر من الحواس الخمس بحثًا عن معنى في المواقف أو الخبرة، ويبدأ الإنسان عادة بالتفكر عندما لا يعرف ما الذي سيعمله بالتحديد "[١].

ويعرفه البعض بأنه عبارة عن مجموعة من العمليات الذهنية التي تمكن الإنسان من نمزْجة العالم الذي يعيش فيه، وبالتالي يمكنه من التعامل معه بفاعلية أكبر ؛ لتحقيق أهدافه وخططه ورغباته "[٢].

ويشير البعض إليه على أنه كل ما يجول في الذهن من عمليات تسبق القول والفعل، تبدأ بفهم ما نحس به، أو ما نتذكره، أو نراه، وتمر بتقييم ما نفهمه حبًا أو كرهًا، وتنتهي بمحاولة حل مشكلة تعترضنا"[٣].

وفي ضوء التعريفات السابقة يتضح لنا أن الفكر هو: قدرة العقل على تصحيح الاستنتاجات، أو إعطاء تفسيرات للمواقف والموضوعات المختلفة، أو تقديم حلول للمشكلات أو زيادة المعرفة بالأشياء، أو المساهمة في اتخاذ القرارات السليمة.

ومن هنا لنا أن نقول أن:

تعريف الملكية الفكرية هو:

اختصاص بالشيء يمنع الآخرين منه، ويُمَكِّن صاحبه من التصرف فيه ابتداء إلا لمانع شرعي سواء كان هذا الشيء مالا أو منفعة حصلها بترتيب أمور في الذهن توصل بها علمًا أو ظنًا.

وإذا ظهر لنا هذا فإن النتاج الفكري الشخصي شيء يحتاج إلى الجهد والبذل، ومن حقه أن يختص به، ويمنع الآخرين من التصرف فيه دون إذنه.

***

(١) قضايا في الفكر المعاصر ص ٢٣ لمحمد عابد الجبري بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ط ٢٠٠٠ م.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي محمد أبو ريان ص ٦٧ الإسكندرية دار المعرفة الجامعية ط ٣، ١٩٩٣م.

(٣) الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية، فاروق أبو زيد ص ٢٧ القاهرة – عالم الكتب ١٩٩٧م.

المبحث الأول

بلاغة السنة النبوية في الدعوة إلى الفكر

لقد جاء الإسلام – قرآن وسنة " بالدعوة إلى التفكر والتأمل فقد قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَت * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَت * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت﴾[١].

فقد خلق الله الإنسان وزوده بالعقل والحواس، وهيأ له كل الوسائل للنظر والتفكر، وكَرَّمه وفضلّه على سائر المخلوقات، وحثه على التأمل في الكون، والاهتداء إلى البراهين والأدلة الدالة على خالق الوجود، كما دعاه إلى استخدام العقل ؛ لأنه السبيل إلى المعرفة وإدراك الحقائق، وهو مناط التكليف، كما بين أهمية التفكير في حياة الإنسان، ورفع قيمة من يسلك سبيله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

كما كان للسنة النبوية دور بارز في الدعوة إلى الفكر، فقد وردت كثير من النصوص النبوية التي تدعو إلى التفكير، وتحث عليه.

وقد وجه الرسول ﷺ الصحابة وحثهم على التفكير، والاستدلال العقلي فيما يستجد من مشكلات الحياة مما لم يرد فيه حكم في القرآن، ويوصي الحكام بالاجتهاد بالرأي، ويرغبهم في ذلك بالثواب في الآخرة، ومنه ما روي عن عمرو بن العاص[٣] عن النبي ﷺ قال: **" إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وإذا حَكَمَ ثُمَّ أخْطأَ فَلَه أجْرُ "** [٤].

---

(١) الغاشية ١٧ – ٢٠.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد القرشي السهيمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله أسلم قبل الفتح، وروى كثير من الأحاديث، وكان شديد الحياء من رسول الله ﷺ.
انظر الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفصل أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر ت ٨٥٢هـ – م ٣ ج ٥/ ٢ ط دار الكتب العلمية.

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ،٦/٢٦٧٦، ح٦٩١٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٣/١٣٤٢ ح ١٧١٦. من حديث عمرو بن العاص ﷺ .

هذا الحديث الشريف ينهج به النبي ﷺ منهجًا تربويًا يوجه فيه الحكام ويوصيهم بالاجتهاد بالرأي، ويرغبهم في ذلك بالثواب في الآخرة حتى يُعملوا عقولهم فيما لم يرد فيه نص شرعي في الكتاب والسنة، ويبين ﷺ أن الحاكم إذا بذل جهده في القضية فأصاب فله أجران: أجر الاجتهاد، وأجر إصابة الحق، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو الاجتهاد في الفكر وتتبع الأدلة.

وقد استخدم ﷺ في سبيل إثبات المعنى وتوكيده أسلوب الشرط الدال على الترابط والتماسك النصي، وآثر **(إذا)** لما لها من دلالة قاطعة على الجزم بالوقوع، إشارة إلى تحقق وقوع الاجتهاد وإعمال الفكر حتى ينال الثواب في الآخرة.

وآثر التعبير بالفعل الماضي **(حكم)** لتحقق الوقوع، والقصد في مجيء الشرط ماضيًا في قوله: **" إذا حكم"** وإن كان معناه الاستقبال: إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع ؛ إظهارًا لحرص الرسول ﷺ على أن يسير الحكام على هذا النهج النبوي، وعرف المسند إليه **"الحاكم"** وذلك لإفادة العموم، أي كل حاكم متصف بالاجتهاد فيُعمل فكره، ويتتبع الأدلة والقياس لما هو على شاكلته، وفي تعيينه **(بأل)** ما يفيد أنه الحاكم المتمكن في ذلك.

وعبر بالفعل الماضي **(فاجتهد)** مقترنًا بالفاء الدالة على التعقيب لتحقق وقوع الاجتهاد وحصوله فور إرادة الحكم، ويتميز حرف الجيم في فاجتهد) بصفة الشدة والجهد والقوة، وهذا مما يدل على المعاناة الكبيرة التي يبذلها الحاكم في الحصول على الصواب والوصول إليه.

وقد كان للتعبير عن المضارع بلفظ الماضي في قوله ﷺ: **"إذا حكم الحاكم"** طريقًا إلى تعظيم المعنى وتفخيمه في نفوس السامعين ؛ إذ المعنى: **" إذا أراد الحاكم"** بدليل قوله: **(فاجتهد)** فصور الحكم في المستقبل بالحكم في الماضي في تحقق الوقوع، ولكنه عبر بصيغة الماضي تجوزًا في التعبير مبالغة فيه، فهو بمعنى الحال أو الاستقبال أي من يحكم أو سيحكم وذلك دلالة على تحقق وقوع الحكم للمجتهد، وليكون المتلقي على ثقة تامة ويقين جازم بتحقيقه ولذا عدل عن **" يحكم أو سيحكم"**.

" وهذا الأسلوب لا يدعك تفكر في إمكان وقوع الأحداث كما يكون الحال لو جاء بصيغة المضارع، وإنما يدعك تفكر في الأحداث والمواقف نفسها ؛

لتأمل ما فيها من رهبة أو رغبة، فمسألة الوقوع وعدمه ألغاها الفعل الماضي حين صيرها واقعًا يروى" [١].

وفي التعبير بحرف العطف " **ثم**" في قوله: " **ثم أصاب**" ما يفيد الترتيب والتراخي، ويلاحظ في البيان النبوي تعاور العطف بـ (**الفاء وثم**) في "**فاجتهد، ثم أصاب** " " **فله أجران، ثم أخطا فله أجر** "، فدل بـ (**الفاء**) على مجيء الأحداث بلا مهلة ؛ لإفادتها الترتيب والتعقيب، ودل بـ " **ثم**" على وجود المهلة الكافية ليتحقق ما فيه بذل الجهد على أكمل وجه، فبين أن الحاكم المتمكن بمجرد اجتهاده في مدارسة الأدلة الشرعية حاز على الأجرين فور تحقق الاجتهاد، ولما كانت الإصابة في الحكم أو الخطأ فيه مما يحوج إلى القدر الكافي لتحققه أتى بحرف العطف "**ثم**".

وجاء جواب الشرط في قوله ﷺ " **فله أجران**" بتقديم المسند في (**له**) ولم يقل: " **أجران له**"، وذلك لإفادة أمرين:

الأول: التخصيص، أي أن الأجرين مختصان به، وهو من باب التوكيد والتكريم لذلك الحاكم المصيب.

الثاني: التعجيل بالمسرة للحاكم المجتهد، فهو لَمّا أصاب في الحكم حاز الأجرين، ففيه إدخال للسرور والفرح إلى قلبه.

وتعاونت جملة الشرط على ترابط الألفاظ ترابطًا قويًا بلغ النص النبوي فيه مبلغًا عظيمًا وهو ما يعرف: بالتلازم التركيبي ؛ فيلزم من وجود أداة الشرط فعل الشرط وجوابه، وهو ما يحُدث في النص خصوصية تركيبية، وهو ما قامت عليه نظرية النظم، التي لا ترى في الألفاظ من حيث هي أصوات مسموعة – أي قيمة ما لم تتلاق دلالتها، وتتسق معانيها، ومن ثم كان لأداة الشرط في البلاغة العربية دلالات توجبها، ومعان تستدعيها، وعمل البيان النبوي على توظيف تلك الأدوات في ربط الكلام بعضه ببعض ؛ مما يسهم في بيان المحتوى الكلي للنص النبوي، وهو بذلك يجعل ما يُصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى أصلا يعتبر به، " وهذه المزايا في النظم بحسب المعاني والأغراض التي

---

(١) خصائص التراكيب أ. د/ محمد أبو موسى ص ٢٦٨، مكتبة وهبة ط ٥ / ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

تُؤَمُ "[١].

وجاءت الجملة الثانية معطوفة على ما قبلها في قوله: " **وإذا حكم ثم أخطأ**" للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية ؛ فبينهما اتفاق ومناسبة جامعة في المعنى ؛ لذا حسن الوصل بين الجملتين،

وعبر بالفعل الماضي في قوله: " **حكم** " " **أخطأ**" لتحقق الوقوع.

وهكذا تضافرت الصور الجزئية في البيان النبوي ؛ لتكون صورة كلية

وتتجلى بلاغة الإيقاع في البيان النبوي ؛ حيث المقاطع القصيرة السريعة التي تدخل على النفس السرور والسعادة لذلك المآل العظيم، فالأصوات والكلمات والجمل كل متآلف متجانس مترابط مع بعضه البعض على النحو الذي ظهر فيما سبق، فأفاد ذلك التجانس والانسجام لتلك اللبنات المترابطة موسيقى عذبة تؤنس الأسماع والأفهام، فتجلت بلاغة التكرار لبعض الكلمات في: " فإذا حكم، الحاكم، فله " مما يدخل على النفس الأنس والسكينة والطمأنينة.

هذا بالإضافة إلى المعاني التي يؤديها الإيقاع الناشيء عن حسن توزيع الصوت حين يتكرر في السياق من خلال تناسقه مع جو البيان النبوي ودلالاته، فقد منحت أصوات المد في السياق الكثير من الوضوح والإبانة ؛ لكونها أظهر الأصوات العربية وضوحًا كما في: " **إذا – الحاكم – أجران – أصاب**"، كما كان لجملتي الشرط وحروف العطف في البيان النبوي دور رئيس في أنس تلك النفس فتلائمت وترابطت مع السياق لإفادة مزيد من الأنس والمحبة.

لقد حث النبي ﷺ الصحابة على الفكر والاستدلال العقلي، وفي البيان النبوي صور كثيرة مما يعجز المقام عن ذكره وإيراده، وقد سلك النبي ﷺ في سبيل تبليغ الدعوة مسالكًا عدة منها:

إثارة نفوس المتلقين واستمالتها ؛ التماسًا للإقناع، ولتحقيق هذه الغاية طوّع العديد من الأساليب البلاغية للوصول للغرض المطلوب، ومن هذه الأساليب أسلوب الاستفهام، فقد كان من أهم الأساليب التي لها حضور لافت في الحديث النبوي الشريف ؛ لما له من أثر كبير في التأثير والإقناع اللذين يتطلبهما تبليغ الرسالة ونشر الدعوة وتمكينها في النفوس والعقول معًا، فكان منهجًا تعليميًا

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز ص٨٧ للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر.

وتأديبيًا تتفاعل في نسجه تقنيات بلاغية ؛ لإنجاح عملية التواصل الإبلاغية عبر الاستحواذ على العقول، والنفاذ إلى شغاف القلوب، فخاطب العقل ليوجهه لغايات تعليمية سامية، وأهداف تربوية ووعظية جليلة.

" فالاستفهام فن عظيم، يسري في أنماط الكلام سريان النسيم في الرياض، ويزداد تألقًا وبهاءً في الأساليب الأدبية الرفيعة، يكشف عن خبيئات المعاني ودقائق الأسرار، ويعرضها عرضًا رائعًا يحمل النفس على الانتشاء، والمشاعر على التوقد، والقلوب على اليقظة، والعواطف على الاستمتاع، والعقول على الاقناع "[١].

فهذا الأسلوب يمتلك طاقات تعبيرية تعمق التواصل مع الآخرين، والتحاور معهم واستمالتهم، وكم نحن اليوم في حاجة إلى تسليط الضوء على تلك المناهج الحوارية بوصفها أهم ركائز المجتمعات وأمانها، وهل هناك كتاب أكمل بيانًا، وأعجز بلاغة بعد القرآن الكريم من الحديث الشريف ؛ ليقدم لنا أمثلة صادقة للحوار البناء، والانصهار المجتمعي الذي أمد العالم بفيض من الفكر والعلم والأدب المجتمعي.

ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر[٢] – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ ـ فَحَدِّثُونِي ما هي ؟ فَوقَع النَّاسُ في شَجرِ البَوادِي، قالَ عبد اللهِ: وَوَقَع في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ، ثم قالوا: حَدِّثْنَا ما هي يا رَسولَ الله ؟ قالَ: هي النَّخَلةُ"**[٣].

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام د. عبد العظيم المطعني ١/ ٢ مكتبة وهبه.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، وكان يكنى بأبي عبد الرحمن، وأسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع ابنه إلى المدينة، شهد الخندق وما بعدها، توفى سنة ٦٣ وقيل ٧٣هـ عن أربع وثمانون سنة، ينظر ترجمة معجم الصحابة للبغوي ٤٦٨/٣ تحقيق محمد الأمين دار البيان الكويت ط ١/ ٢٠٠٠م. وينظر الوافي بالوفيات ١٩٨/١٧، وينظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٠٨.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا، ٣٤/١ ح٦١، و باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ٣٤/١ ح ٦٢، و باب الحياء في العلم، ٦١/١ ح١٣١، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحوالهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ٢١٦٤/٤، ح٢٨١١

والمتأمل في البيان النبوي يرى ألفاظه ﷺ تتسم بالوضوح في الدلالة، والدقة في التعبير، والجمال في الأداء والبعد عن الغموض والتكلف؛ لأن ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، ألفاظ محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى لا نجد فيها كلمة مفضولة (١)

أما عن معاني الحديث فهي تتسم بغنى الأفكار، وثرائها، وعمقها، وجِدّتها، وإحكامها، وتجدُّد عطائها، وغوصها في أعماق النفس الإنسانية.

وبدأ ﷺ الحديث بالجملة الخبرية في قوله: " **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها** " والمخاطب به خالي الذهن من مضمون الخبر، فكان حقه أن يلقي الكلام خاليًا من التأكيد، لكنه نزل غير المتردد منزلة المتردد الشاك، فأورده مؤكدًا بـ (**إن**) وإسمية الجملة والتكرار ؛ توخيًا لجذب العقول والقلوب نحو ما سيلقيه ﷺ ؛ فخروج الكلام هنا على خلاف الظاهر له دور جاذب محفز للإقبال على الكلام ومتابعته، وكذلك يبرز أثر توظيف الصورة التشبيهية المنتزعة من البيئة الصحراوية في تنشيط الفكر، وإثارة الذهن لمعرفة ما هي تلك الشجرة التي تشبه المسلم.

وقد كان لإيثار التعبير بالتركيب الإسمي أثره في ثبات المشابهة بين المسلم والشجرة في كثرة برها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام.

وفي تقديم الجار والمجرور " **من الشجر**" ما يفيد الاهتمام بالمقدم، والعناية به، وبلاغته تكمن في الإشعار بعظمة هذه الشجرة، وعُرف (**الشجر**) بأل ؛ لإفادة العموم أي من جنس الشجر.

ونكر المسند إليه (**شجرةً**) لإفادة التعظيم، وعبر بالفعل المضارع المنفي (**لا يسقط**) وذلك لإفادة التجدد والحدوث، وفيه استحضار للصورة بعدم سقوط ورق تلك الشجرة، وقال (**شجرةً**) ولم يقل نخلة للقصد إلى التمويه في السؤال حين يختبر ذكاء وأفهام الحاضرين من الصحابة.

وانظر إلى دقة استخدام الحرف (لا) دون (لن)، وذلك لأن (لا) تكون لنفي الحال والاستقبال أما (لن) فهي لنفي المستقبل، وجاء في المغني لابن هشام أن حرف

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص ١٩٣ دار الكتاب العربي.

(لا) تخلص الفعل المضارع للاستقبال والحال، بينما (لن) تخلصه للاستقبال " [١] فالنفي بـ (لا) آكد من النفي بـ (لن) [٢].

ومعناه أن الرسول الكريم ﷺ قد نفى سقوط الورقة عن الشجرة في الحال والاستقبال ؛ مما يقوي المشابهة بينها وبين المسلم ويؤكدها.

كما نلحظ لطيفة بلاغية، حيث أضيفت الورقة إلى ضمير الشجرة، وذلك كي يتنبه الصحابة إلى عدم سقوط ورقها هي، ففي الإضافة زيادة في التوضيح والتأكيد، وهو أدعى لاستيقاظ العقول.

وتعاون على تماسك النص النبوي وترابطه العطف بالواو في قوله: **"وإنها مثل المسلم"** وذلك لما بينهما من توسط بين الكمالين، فقد اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود المناسبة المسوغة للوصل، فالتناسب قائم بين الجملتين فالمتحدث واحد وهو الرسول ﷺ والمتحدث إليهم واحد، وهم الصحابة – رضوان الله عليهم – ومجري الحديث واحد.

والضمير في **"إنها"** أضفى على المعنى مزيدًا من الفخامة والجلال والعظمة، وذلك عندما دخلت (إن) عليه فأكسبته رونقًا وبهاء، بحيث ترى الضمير معها من الحسن واللطف مالا تراه إذا هي لم تدخل عليه، ففيه إبراز وتوضيح وتمييز لما عليه الشجرة من صفات.

والرسول الكريم ﷺ يراعى الناحية النفسية والشعورية والوجدانية لدى المخاطبين، فيأتي بالجملة الخبرية مؤكدة بـ (إن) واسمية الجملة ؛ تنزيلاً لهم منزلة المتردد الشاك ؛ وذلك لزيادة تقرير مضمون الخبر ؛ لأن الخبر به غرابة، فهم لا يعلمون تلك الشجرة التي عقد ﷺ مشابهة بينها وبين المسلم، فأكد الخبر ؛ كي يتمكن في أذهانهم فضل تمكن.

ومما يساعد على توضيح المعنى الصورة التشبيهية في قوله: (مثل

---

(١) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١)، ص ٣٧٣، تحقيق مازن المبارك – محمد علي حمد – راجعه سعيد الأفغاني ط دار الفكر، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٧٠ للحسن بن قاسم المرادي ط دار الآفاق الجديدة بيروت، تحقيق فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل.

(٢) مغني اللبيب ص ٣١٤

المسلم) فهي صورة مستمدة من البيئة العربية ؛ فالصورة في الحديث من صلب المعنى، فمن يطالع الصور الحديثية يجد بأنها واضحة غير معقدة، وغير متكلفة، تلمح فيها العفوية والسهولة، فهي متمكنة في تصوير المعنى، فشبه تلك الشجرة بالمسلم، تشبيهًا تمثيليًا

والبيان النبوي هنا يرسم صورة رائعة دقيقة يقصد منها بيان حال المشبه، وذلك للإيضاح، ولزيادة الفهم وتوسيع المدارك، فمن دقة التشبيه وفصاحة البيان وجلاء العبارة يفهم المجتمع المؤمن صفاته التي ينبغي أن يتحلى بها، فيلجأ النبي ﷺ إلى ذلك التشبيه الدقيق، ليربى به الأمة الإسلامية، فهو من أدق التشبيهات التي وردت في البيان النبوي التربوي التعليمي.

وبهذه الصورة التشبيهية ضرب ﷺ مثلاً له عميق فكر في العقل والنفس، فما أن تفكرنا وتحققنا القول في طبيعة كل من النخلة وطبيعة المؤمن الموحد المتبع لمنهج الله تعالى، فنجد التشابه قد وقع في خصائص المشبه والمشبه به، فورق النخلة لا يسقط، ويبقى يانعًا يافعًا، وكذا المسلم لا يسقط له دعوة ولا ثوابت، كما جعل الله تعالى في ثمار النخلة وورقها المنفعة الدائمة في كل وقت وحين، كما ينتفع بالمسلم الحق أينما حل وارتحل، فكما أن مظهر النخلة وهي ثابتة شامخة تواجه الرياح العاتيات مثلها مثل المسلم الثابت الشامخ الذي لا تهزه الفتن والمحن، فهو كالنخلة يصعب اقتلاعه، كما أن النخلة إن أكلت أكلت طيبًا وإن وضعت وضعت طيبًا، مثلها مثل المسلم فيترفع عن الحرام، ويتحرى الحلال الطيب، ولا يخرج إلا طيبًا، فبكلامه المستنبط من الشريعة، وتوجيهه الناصح، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر هو شفاء للحيران، وتذكير للغافل ومواساة للمهموم، فهذا هو المسلم المقصود في التشبيه والذي ينبغي أن يكون على تلك الخصال التي قصد إليها النبي ﷺ حتى تقوى شوكة الإسلام، وبذلك تقوى دعائم الإسلام في نفس المؤمن فيقوى المجتمع الإسلامي.

ففي الصورة التشبيهية إجمال لصفات عدة يحظى بها المسلم الحق، وإن تحققت في مجتمعاتنا اليوم، وزرعنا مقصد رسول الله ﷺ في نفوس أبنائنا، نصعد عاليًا نحو القمم، وننعم بعيش رغيد في ظل إسلامنا.

وعرف (المسلم) بأل للجنسية التي تصدق على جميع الأفراد، فهو من العام المراد به الخاص، أي المسلم الحق، وإطلاق العام مع إرادة الخاص مجاز مرسل

لعلاقة الإطلاق والتقييد ؛ بمعنى أطلق العام من دلالته على العموم، وأعيد تقيده ؛ للدلالة على الخصوص، وفي ذلك إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم.

وتآزر على ذلك أن آثر التعبير بـ (المسلم) ولم يقل المؤمن ؛ وذلك لأن الإيمان أخص من الإسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[١].

" فالإسلام طاعة الله يسلم بها من عقاب الله، وصار كالعلم على شريعته ﷺ[٢].

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي على كل مسلم أن يكون نافعًا، متآلفًا في مجتمعه متعاونًا متآزرًا مع غيره كي يكون كالنخلة.

وفي هذه الصورة التشبيهية التمثيلية جعل الأصل فرعًا والفرع أصل وذلك مبالغة، وادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر فجعل تلك الشجرة هي التي تشبه المسلم في كثرة النفع وطيب المنبت.

فكان التشبيه المقلوب، " وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ "[٣]، وهو فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب، والغرض فيه المبالغة "[٤].

وتأتي الجملة معطوفة بالفاء في قوله: " فحدثوني" لإفادة الترتيب والتعقيب، مما يحث النفس على الفكر، مع سرعة الاستجابة والامتثال لذلك المنهج التربوي التوجيهي التعليمي ؛ لتنشيط الذهن، وجذب انتباه المخاطبين، واستمالتهم بحيث يأتي الجواب بعد ذلك متمكنًا في النفس فضل تمكن.

وعبر بفعل الأمر (حدثوني) مضافًا إلى ياء المتكلم ؛ للترغيب في الفكر، والاعتناء بالأمر، وفي الإضافة تشريف وتعظيم لذلك الحديث.

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق حسام الدين القدسي ص ١٨٩ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٣) المثل السائر لابن الأثير ص ١/ ٤٠٤، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت - لبنان.

(٤) الخصائص لابن جني ١/ ٣٠٠ مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢ تحقيق محمد علي النجار.

ويأتي الاستفهام في قوله: " ما هي ؟" للتشويق وجذب الانتباه، وآثر ﷺ طريق الاستفهام ؛ لأن الاستفهام في أصل وضعه يحتاج إلى تفكير بما يتطلبه من الجواب، وهذا يحمل المخاطب على توجيه كل اهتمامه بما يلقي إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عليه ؛ لذا كان للاستفهام أثر في التشويق، وبعث روح اللهفة والتطلع، وتحريك النفس وتهيئتها لاستقبال الخبر، حتى إذا ألقى الخبر صادف نفسًا يقظة مستعدة لتلقي الخبر، فيقع منها موقع القبول، ويتمكن منها فضل تمكن، وذلك لأهمية مضمون الخبر.

وهذا الأسلوب هو إحدى الطرق التي كان يستخدمها الرسول ﷺ في حواره مع الصحابة، حيث إنه كان يوجه إليهم سؤالاً، وينتظر منهم جوابًا، ثم يرد على أجوبتهم، مبينًا لهم وجه الصواب والخطأ فيما يقولون "[١]، فالاستفهام يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما أراد تقوية مضمونه.

فجاء الاستفهام لإحالتهم إلى أنفسهم ليتدبروا القول، فما هي تلك الشجرة التي تشبه المسلم في صفاته ؟

(فوقع الناس في شجر البوادي) فجاءت الفاء لتطوي المساحة الزمنية، ففي **(الفاء)** سرعة وتعقيب، وربط للأحداث، وأكد المعنى بالفعل الماضي: "وقع " ليفيد تحقق الوقوع.

(وشجر البوادي) هو نوع من أنواع شجر الصحراء، وذَهلوا عن النخلة، ولكن وقع في نفس ابن عمر – رضي الله عنهما – أنها النخلة، ولكنه استحيا أن يذكر ما في نفسه ؛ توقيرًا لأكابر الصحابة الحاضرين الذين لم يعرفوها، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ فقال: **(هي النخلة"** وعبر ﷺ بالجملة الإسمية، لإفادة الثبوت والدوام، وفيها تأكيد وتقوية للمعنى الذي أراد ﷺ اثباته.

وعبر عن المسند إليه بضمير الغائب "هي"، وذلك لكون المسند إليه في حكم المذكور لقرينة "[٢] وهي عوده على ما سبق المصرح به، كما أن فيه

---

(١) ينظر الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته، د/ محمد لطفي الصباغ ص ٨٦ المكتب الإسلامي ط ٥ / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ت محمد خفاجي ص ٤٨ ط دار الجيل بيروت، وتحقيق محمد عبد القادر الفاضل المكتبة العصرية بيروت.

تعظيم من شأن تلك النخلة، وتآزر على ذلك تعريف (النخلة) بأل الجنسية ؛ لدلالتها على ما اشتمل عليه جنس النخل من منافع عظيمة.

وتتجلى بلاغة الإيجاز في الحديث النبوي الشريف حيث بناء الكلام على الصورة التشبيهية، فقد أشبهت النخلة المسلم في صفات كثيرة أجملها ﷺ في عقد تلك المقارنة بينهما، فالخبر دائم ثابت فيهما، فهي تشبهه في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها.

ويتجلى جمال الإيقاع في السياق النبوي حيث تنوعت الأساليب ما بين إنشاء وخبر، وفي الانتقال من الأسلوب الخبري إلى الإنشائي ثم إلى الخبري كان " له أثر فعال في تغذية الإيقاع البلاغي، وذلك لأنه يخلق حركة متموجة ممتدة، تضفي على النص حيوية ونشاطًا ملحوظين "[١].

وهذا النشاط الإيقاعي ينجم عما يمتاز به كل من الخبر والإنشاء من صفات مختلفة، لما يتميز به الأسلوب الإنشائي من روح حوارية ترتفع معه النغمة الصوتية المعبرة عن النشاط الانفعالي والنفسي مما يتطلب تفاعلاً أكبر من المتلقي، مما يحتاج إلى نمط حواري متجاوب بعبارات حاسمة مما يضفي على الإيقاع صفة التنوع بين الارتفاع والهبوط.

أما الأسلوب الخبري في البيان النبوي فقد قام على الترابط بين لبنات الحديث، وازداد الأسلوب الخبري ترابطًا واتصالاً مع "الفاء" التي تربط بين أجزاء الكلام، وترتب الأحداث ترتيبًا سريعًا، معقبة كل جملة تلو الأخرى، مما يحدث هذا الترابط والتماسك النصي المبدع.

كما يسهم التكرار في البيان النبوي في تشكيل الأنغام الحسية، ويزيد من الإيقاع الجميل، والمتميز في أسلوبه ﷺ، ويكسبها انسجامًا موسيقيًا كما ورد في تكرار كلمة (الشجرة)

ويُعد هذا السياق صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة لصفات الإنسان المسلم وما ينبغي أن يكون عليه.

****

(١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي د/ ابتسام أحمد حمدان ص ٢١٧ تدقيق أحمد عبد الله فرهود ط دار القلم ط ١/ ١٩٩٧م.

ومن حرصه ﷺ على إثارة الذهن والتشويق إلى الفكرة طرحه للسؤال بهذه الطريقة لترسيخ الفكرة في القلوب وثبوتها في الأذهان ؛ لأن ما يحدث منه ﷺ على هذه الهيئة لا يكاد ينسى، وهو بذلك ينشط الفكر، ويؤكد عليه، ومنه قوله ﷺ عن أبي هريرة ﷺ [١] أن رسول الله ﷺ قال: **"أتدَرْوُنَ ما الغَيبةُ ؟ قالوا: اللهُ ورسَولُهُ أَعْلَمُ قال: "ذِكْرك أخاكَ بما يَكْرَهُ " قيلَ: أرَأيْتَ إنْ كانَ في أَخِي ما أقُولُ ؟ قالَ " إنْ كان فيه ما تَقولُ فقَدِ أغْتَبتْهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ "**[٢].

وهذا الحديث النبوي الشريف يعد نموذجًا من النماذج التي جُعل فيها الحوار وسيلة من وسائل التربية النفسية والفكرية والاجتماعية للنفس البشرية، وقد سلك فيها النبي ﷺ طريقة طرح السؤال على طائفة من الصحابة، بقصد الاستماع إلى إجاباتهم، وهي نوع آخر من إثارة أذهان الصحابة، يختلف عن طريق الطرح والإثارة التي جاءت في الحديث السابق، حيث يعمد فيها الرسول ﷺ إلى مناقشة إجابات الصحابة مناقشة يشحذ من خلالها أذهانهم، ويعمل فكرهم تجاه قضية معينة ؛ ليتوصلوا إلى معرفة وجه الصواب فيها.

ويؤدي الحوار في السياق النبوي دورًا بارزًا في الدعوة والإرشاد والتوجيه والإصلاح، إذ يقصد منه غايات، تتمثل في تنمية قدرات الصحابة الفعلية، وحثهم على الفكر، وتنشيط الذهن، فضلاً عن أن الحوار ينمي قدراتهم على المقارنة والتقييم وغيرها من القدرات التي تحقق لهم طلاقة في الرؤى

---

(١) أبو هريرة الدويسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، الفقيه، صاحب رسول الله ﷺ اختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر، قدم من أرض دوس هو وأمه مسلمًا وقت فتح خيبر، كان فقيرًا من أصحاب الصفة، توفى سنة تسع وخمسين، وله سبع وثمانون سنة.
ينظر أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير ٣١٣/٦، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود د/ دار الكتب العلمية ط ١ / ١٩٩٤م، وينظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ٢/ ٥٧٨، التحقيق بإشراف الشيخ الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – ط ٣ / ١٩٨٥م.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ٢٠٠١/٤ ح٢٥٨٩ ، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب فِى الْغِيبَةِ.٤٢٠/٤ ح٤٨٧٦، وفي سننه ـ كتاب البر والصلة ـ باب في الغيبة، ٣٢٩/٤ ح١٩٣٤.

والأفكار، وطلاقة في التعبير على حد سواء" [١].

ومن ذلك السؤال **الذي** طرحه الرسول ﷺ على مجموعة من الصحابة في بداية الحديث: " أتدرون ما الغيبة " وهو يعلم أن إجاباتهم ستأتي وفق قدراتهم الناقصة في موضوع الجواب الذي يريد توضيحه لهم، ثم يعرض عليهم الجواب الصحيح بعد أخذ جوابهم، وفي ذلك باعث قوي لإثارة فطنتهم، وتحريك ذكائهم للسؤال، وتشويق نفوسهم للإجابة التي ينتظرون معرفتها، وحضهم على إعمال الفكر للجواب ؛ ليكون جواب النبي أوقع في النفس.

وفي هذا الحديث الشريف يرشدنا ﷺ بصفة من الصفات التي يجب ألا يفعلها المسلم ؛ لأنها من الصفات السيئة ذات العاقبة السيئة، وهي الغيبة، وحقيقتها، كي نتجنبها، ونتجنب عاقبتها، وقد نهى الله تعالى عنها في قوله: ﴿**وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم**﴾[٢].

وبدأ الرسول ﷺ حواره مع الصحابة بجملة استفهامية فيها حركة وإثارة، واستحضار للعقل وتحفيز للانتباه،، وإثارة لذهن الصحابة عن (الغيبة).

ويبدأ الاستفهام بالهمزة في (**أتدرون**) لإفادة التشويق إلى ذكر الخبر.

وآثر الرسول ﷺ دخول الهمزة على فعل الدراية " تدرون" لما فيه من إمعان النظر والفكر، فهو أدل على المعنى المراد، فالرسول ﷺ يدرك أن الصحابة – رضوان الله عليهم – لا يعرفون ما الغيبة ؟ بالمفهوم الذي يقصده – عليه الصلاة السلام -.

وآثر ﷺ التعبير بـ " **تدرون**" ولم يقل: أتعلمون أو أتعرفون، وذلك لأنه أدل على مقصد رسول الله ﷺ ؛ ففعل (الدراية) هو علم فيه معالجة ؛ للإطلاع على المعلوم، ولذا لا يستخدم هذا الفعل عن علم الله فلا يقال الله يدري بكذا، بل يقال: الله أعلم بكذا "[٣].

---

(١) ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة وكامل المهندس ص ٨٩.، مكتبة لبنان بيروت ط ١٩٨٤م.

(٢) سورة الحجرات آية ١٢.

(٣) ينظر تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ١٩٨المحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

ومما يدلنا على ذلك قول الزمخشري: " في أن العلم قد جعل لله، وأن الدراية قد جعلت للإنسان، وذلك لما في الدراية من معنى الحيلة"[١].

وعبر بالفعل المضارع (تدرون) للدلالة على التجدد والحدوث.

ولما كان السؤال عن حقيقة الغيبة جيء باسم الاستفهام (ما) في: " ما الغيبة ".

والمقصود بهذا الاستفهام هو التصور أي تصور المخاطبين لمفهوم الغيبة.

وقد جاءت الجملة الاستفهامية في البيان النبوي للقصد إلى التنبيه على أمر مغفول عنه، فالمخاطبون – وهم الصحابة – رضوان الله عليهم – يغفلون معنى الغيبة ؛ فأراد ﷺ أن يطلعهم عليها كي يتجنبوها، ولتقوية المعنى وإثباته في الذهن، ولأهمية الخبر جاء الأسلوب بصيغة الاستفهام، كما أثارت هذه الجملة الاستفهامية عنصر التشويق ؛ للإجابة عن هذا السؤال.

وسمع رسول الله ﷺ إجابة الصحابة بأن الله ورسوله أعلم، والغرض منها التوقير والتعظيم لله ولرسوله، وأخذ ﷺ يبين لهم حقيقة الغيبة فقال: " ذكرك أخاك بما يكره"، وفي ذلك توجيه للصحابة بألا يذكر أخاه بما يكره ؛ وذلك لنشر المحبة والوئام بين أفراد المجتمع.

وبدأ في تعريف حقيقة الغيبة بالمصدر الصريح (**ذكرك**) ولم يقل: (**أن تذكر**) ؛ وذلك لإفادة الثبوت في الوصف، والدوام لذكره أخاه بما يكره، وهذه هي حقيقة الغيبة.

وأضاف الذكر إلى ضمير الخطاب الكاف في (**ذكرك**) ؛ وذلك لكي يتنبه المخاطب إلى خصوصية الذكر لأخيك بما يكره، أي ذكرك أنت لا غيرك، وذلك أدعى لاستيقاظ العقول، وإلهاب المشاعر، حتى يكفوا عن هذا الفعل المشين.

وفي التقييد بالمفعول (**أخاك**) ولم يقل الرجل أو المسلم ؛ وذلك للتوضيح وزيادة الفائدة وتقويتها لدى المتلقي، وفيها تذكير له بعاطفة الأخوة لتكون رادعًا له من أن يذكر أخاه بما يكره.

وتآزر على ذلك المعنى إضافة ضمير الخطاب في "أخاك" تذكيرًا وتنبيهًا بخصوصية الأخوة أي فكيف ذلك وهو أخوك ؟ كي يكف عما يؤذيه.

---

(١) الكشاف للزمخشري، ٣/ ٥٣٣، شرحه، وراجعه يوسف الحمادي ط مكتبة مصر.

وفي التعبير بالباء في (**بما**) ما يفيد الملاصقة، أي ملاصقة كل ما يكرهه من صفات به، وفي ذلك إشارة للتنفير من هذه الآفة المجتمعية، وتعاون على أداء المعنى التعبير باسم الموصول (**ما**)، وذلك ليفيد دلالة التعميم، فالتعميم ملائم لما أراده ﷺ من خصوصية الوصف (**بالغيبة**) أي ذكره أخاه المسلم بكل ما يكره صغيرًا كان أو كبيرًا.

وتكمن دقة التعبير بالفعل المضارع (يكره) لإفادة التجدد وحدوث الكره منه مرة تلو الأخرى.

وقد تحقق مراد الرسول ﷺ من إثارة أذهان الصحابة ؛ وذلك حين طرح سؤاله عن الغيبة، فاستفسر أحدهم فقال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ".

وجاء الاستفهام في: (**أرأيت إن كان في أخي ما أقول**) للتحقق من حقيقة الغيبة، فهل مَنْ ذكر أخاه بما فيه من الغيبة ؟

ومن دقة التعبير أن أتى بـ (**إن**) دون (**إذا**) مما يفيد أن ذكره بشيء وجد فيه أمر مشكوك فيه، ضعيف ليس مقطوعًا به.

وفي التقييد بالجار والمجرور (في أخي) زيادة للفائدة ؛ توضيحًا وإظهارًا للمعنى المراد.

وآثر التعبير بالاسم الظاهر (**أخي**) ولم يقل: أرأيت إن كان فيه ؟ بالضمير؛ وذلك لتنبيه النفس البشرية لما في صفة الأخوة من رابطة قوية، تقوم على المودة والرحمة، والإخلاص والوفاء، والتراحم فيما بينهم، فهي علاقة ذات أثر عميق صهرت العصبيات الأخرى في بوتقتها بخلاف غيرها من العلاقات الأخرى.

وللدلالة على استحضار صورة القول عبر بالفعل المضارع (أقول) للتنفير منه.

وتترابط اللبنات الدلالية في المعنى وتتشابك لتدور في فلك المعنى المراد، فيأتي الجواب منه ﷺ قائلاً: " **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته**".

واستخدم البيان النبوي (**إن**) التي هي وسيلة للربط النصي بين الشرط والجزاء ؛ لإفادة التماسك بينهما، كما أنها تدل على التقليل أو الشك، وفي هذا إشارة إلى أنه أمر مشكوك فيه.

واستخدام أداة الشرط هنا ملائم للسياق ؛ لأنه: " إذا كان المتكلم غير جازم بوقوع الشرط أو غلب على ظنه الشك وعدم الوقوع فإنه يستعمل **"إن"** [1]، ولذا

---

(١) شروح التلخيص ٢/ ٣٥، ط دار السرور – بيروت.

جاء البيان النبوي هنا باستخدام (**إن**) دون (**إذا**) وذلك ليشير إلى أن الذي وقع منكم ما كان ينبغي أن يكون إلا على سبيل الشك والاحتمال النادر، وأداة الشرط (**إن**) تفيد تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط، وهذا يتطلب" " أن يكون الشرط والجواب غير ثابتين ؛ لأن الثبوت يكون منافيًا للتعليق"[١].

وقدم الجار والمجرور (فيه) لإفادة التخصيص أي فيه لا في غيره.

كما عبر بـ (**ما**) الدالة على الإبهام لإفادة العموم أي إن وجد فيه جميع ما تقول، وآثر التعبير بالفعل المضارع (تقول) ليستحضر صورة القول، تنفيرًا منه، وفيه دلالة على تجدد حدوث القول.

ويأتي جواب الشرط مقترنًا بالفاء في قوله ﷺ: (**فقد اغتبته**) ترتيبًا وتعقيبًا لفعل الشرط، وأكد ﷺ الكلام بمؤكدين (**قد**)، والفعل الماضي (اغتبته) الدال على تحقق وقوع الغيبة، والبيان النبوي الشريف دقيق في اختيار مواطن التوكيد، فالحديث يعالج آفة من آفات المجتمع، ألا وهي الغيبة، واتخذ في سبيل ذلك كل الوسائل السابقة ؛ لتكون أدعى للانتهاء عن هذه الآفة المجتمعية.

وعطف جملة " وإن لم يكن فيه" على ما قبلها لوجود المناسبة، فإنه ﷺ لما ذكر حقيقة الغيبة بأنها قول الإنسان في أخيه ما يكره جاءت الجملة الثانية لتوضيح أنه حتى وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

ومعنى (**البهتان**) هو: قذف بعضهم بعضًا بالباطل[٢] وهو مأخوذ من بهته بهتًا وبهتانًا قال عليه ما لم يفعل، وبهيتة: الباطل الذي يتحير من بطلانه، والكذب البهت، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ [النساء ١١٢] ، وسمى رمي البريء بهتانًا ؛ لكون البريء متحيرًا عند سماعه لعِظمِه في الكذب، يقال بَهِت الرجل بالكسر إذا دهش وتحير، وبَهُت بالضم، وأفصح منهما بُهِتَ على بناء ما لم يسم فاعله "[٣].

---

(١) خصائص التراكيب ٣٣٥ ط مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م.

(٢) القاموس المحيط مادة بهت.

(٣) حاشية محيى الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٢/ ٦٧ ط دار التراث – بيروت - لبنان.

ومنه قول الشاعر:

لا ينطِقُ الإفكَ والبهتانَ قائلُهمْ بلْ قَوْلُ عائبهم إفكُ وبهتانُ[١]

ويتعاون على أداء المعنى التعبير بالفعل الماضي " بهته" أي تحقق البهتان بقولك ما ليس فيه، وأكد ذلك المعنى بأكثر من مؤكد، قد والفعل الماضي **"بهته"** الدال على تحققه وذلك للاهتمام والعناية بشأن الخبر.

وآثر البيان النبوي التعبير بالبهتان دون الكذب ؛ وذلك لأن الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع في حق النفس وحق الغير، أما البهتان فيكون في حق الغير فقط، والبهتان أشد الكذب ويواجه به صاحبه على وجه المكابرة له، فالبهتان: هو مواجهة الإنسان بما لم يحبه،" والبهتان أفحش الكذب" [٢].

لقد برع البيان النبوي في اختيار اللفظ المعبر عن المعنى بدقة فائقة، وحساسية بالغة، فلم يقتصر الأمر على مجرد الانسجام بين حروف الكلمة، أو حتى هذا التعاطف العجيب بين الشكل والمضمون، بل حاز ذلك إلى رسم صورة نابضة متحركة باللفظ وحده، يستقل برسم لوحة، أو نقل جو شعوري، أو كمال الصورة عامة، اقتدارًا في البيان، وإعجازًا في البلاغة [٣] فقوله: **(بهته)** صورت المعنى بحركاتها وسكناتها خير تصوير.

ومن روافد النغم في النص البياني أن احتشد بالمؤثرات الموحية، التي تتمثل في شتى الإيقاعات التي تواجه القلب البشري بحقيقة الغيبة، كي تكف النفس البشرية وتنتهي عن تلك الآفة المجتمعية، المنتشرة في المجتمع المسلم، ومن بين هذه المؤثرات العميقة ذلك الإيقاع المتكرر في قوله: " ذكرك أخاك" "وإن كان في أخي"، " وإن كان فيه ما أقول "، " وإن لم يكن فيه ما تقول " فتكرار حرف الكاف، والخاء، والفاء مما تتآلف معها الكلمات، وتنسجم فيها الحروف، فالعناصر كلها متآلفة الأجزاء، كما أن الكلمات والجمل متناسقة ومتلاحمة مع بعضها البعض عن طريق الشرط وحروف العطف الفاء والواو مما أدى إلى هذا التماسك

---

(١) البيت لابن الرومي.

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٢/ ٣٢- ٣٣، ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) السمات البلاغية في بيان النبوة د/ صباح دراز ص ٢٥٥ مكتبة وهبة ط ٢٠١٤.

النصي " إن العربية في أي أفق من آفاق البيان بها لغة الإيقاع المتجدد "[١].

كما جاءت الجمل متوازنة متوسطة الطول، مما يحدث ذلك التوازن في المعنى، وهي نغمات متزنة هادئة تخاطب تلك النفس البشرية التي جبلت على الخير، واتباع شرائع الله على يد معلم البشرية نبينًا ﷺ.

وهناك الكثير من النصوص النبوية التي حث فيها الرسول ﷺ على الفكر وتنشيط الذهن ؛ ليتمكن الخبر في ذهن المتلقي مما لا يتسع المجال لحصره.

***

(١) العزف على أنوار الذكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة ص ١٧٩ ط أولى ١٤٢٤هـ، د/ محمود توفيق.

المبحث الثاني

بلاغة السنة النبوية في حمايتها للملكية الفكرية

جعل الإسلام أي عدوان على حقوق الغير من باب الظلم، وهو محرم بنصوص كثيرة، وقد كان للسنة النبوية دور بارز في بيان تحريم الاعتداء على حقوق الغير، وبَيَّنت السنة النبوية أن رد العدوان عن الإنسان حق من حقوقه بل قد يكون واجبًا، فإن اعتدى معتد سواء كان ذلك على دينه أو نفسه أو ماله أو عرضه، ذَكَّرَه بالله – تعالى – ثلاثًا، فإن أبى أن يرتدع عن عدوانه استعان عليه بمن حوله من المسلمين أو يرد الأمر إلى السلطان، وإن لم يكن شيء من ذلك قاتله ليرد عدوانه وذلك كما ثبت في الحديث عن فَهيد العَمَّاري ﷺ قال: سأل سائل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن عدا عليّ عادٍ ؟ فقال النبي ﷺ: **" ذَكِرّه بالله. وأمره بتذكيره ثلاث مرات، فإن أبى فَقاتله، فإن قتلك، فإنك في الجنة، وإن قتلته، فإنه في النار "** (١).

وقد كان من هَدْى النبي ﷺ أن يستعيذ بالله من الظلم والعدوان، ويُعَلِّم أصحابه ذلك، فعن زيد بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ علمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح **".... وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يُعتدى علي "** فلا ينبغي للمسلم أن يكون معتديًا، ولا أن يسمح لأحد أن يعتدى عليه، أو ينال منه.

كما بينت السنة النبوية المنزلة التي ينبغي أن يكون عليها المسلمون، وهي الأخوة، كأخوة النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة، وعدم التعدي على الحقوق، وأمرهم أن يأخذوا بأسباب كل ما يوصلهم لمثل هذه الأخوة الحقيقية.

فقد روى عن أبي هريرة(٢) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"المُسْلِمُ أخو المُسْلِمُ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هُنَا ويُشِيرُ إلىَ صَدْرِه ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بحسب امْرِئٍ من الشَّرِ أن يَحْقِرَ أَخاه المُسْلِمَ، كل المُسْلِمِ على**

---

(١) أخرجه / أحمد في مسنده ٣/ ٤٢٣ برقم ١٥٥٢٩، والطبري في الكبير ١٩/ ٣١ برقم ١٥٧٥٤.

(٢) سبق ترجمته فيما مضى.ص ٣١،

المُسْلِمِ حَرامُ دَمُهُ، ومَالُهُ، وعِرْضُهُ"[١].

ويتجلى الأسلوب النبوي في رسم صورة، متكاملة لما يكون عليه المسلمون من الألفة والمحبة وعدم التعدي على حقوق الغير، فلا يظلمه، وإذا استنصره فلا يخذله ولا يستهين به، ولا يحقره، فنهى الرسول ﷺ عن كل أسباب الفرقة والتشاحن في المجتمع، وفي الحديث دعوة للوحدة الوطنية والاتحاد بين أفراد المجتمع من خلال الدعوة إلى الأخوة، وبين أن الأخوة ينافيها الظلم والتعدي على حقوق الغير، والخذلان، والتحقير، وتقتضي التوادد، والتناصر، والتآذر، وقيام الألفة والمحبة فيما بينهم وللتأكيد على هذا المعنى استخدم الرسول ﷺ، عدة أساليب بيانية.

ولنتأمل معًا إيثار البيان النبوي الجملة الخبرية **"المُسْلِمُ أخو المُسْلِمُ "** والغرض منها التوجيه والإرشاد للأمة الإسلامية خاصة ولجميع أفراد المجتمع عامة، وتعاون على أداء المعنى إيثاره الجملة الإسمية مما أفاد الثبوت والدوام، وتتجلى روعة التصوير بالصورة التشبيهية في قوله **"المُسْلِمُ أخو المُسْلِمُ "** فيشبه المسلم بالأخ في النسب بجامع المحبة والمودة في كل، وتكمن بلاغة التشبيه في البيان والتوضيح والتأكيد لروابط الأخوة بين المسلمين.

ومن دقة التعبير في السياق النبوي تعريفه للمسلم بأل فهي لاستغراق الجنس مرادًا بها العموم ،

وقد تكون أل في **"المُسْلِمُ "** للدلالة على كمال الاتصاف بالوصف، أي المسلم كامل الإسلام، ويستلزم من ذلك أن من اتصف به يكون حريصًا على جميع خصال المسلم الحق، وأكد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٢].

وذِكْرُ المسلم هنا خرج مخرج التغليب ؛ لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، وحقه عليه أعظم من حق غير المسلم الذي

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٨٦٢/٢ ح٢٣١٠ ـ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١٩٩٦/٤ ح٢٥٨٠.من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحجرات آية ١٠.

لا يجوز الاعتداء عليه أيضَا، وهو داخل في الحكم بأغلبية اللفظ لا بخصوصه.

ويمضي البيان النبوي في تصوير ملامح الأخوة بين المسلمين موضحًا ما أبهمه في الجملة السابقة فقال: **لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ "**، وجاء الفصل هنا ناطقًا بدقة البلاغة النبوية ففصلت هذه الجمل من الجملة السابقة لما بينهما من كمال الاتصال،فكانت بمنزلة البيان بعد الإبهام، فبعد أن حثهم على التآخي فيما بينهم، عاد ليبين لهم حقيقة الإخوة، وهي تكمن في: ألا يظلمه، وإذا استنصره فلا يخذله، ولا يحقره ويستهين به، فكان للفصل هنا أكبر الأثر في ربط الكلام، وشد عراه، وتميزه بالدقة والإتقان.

وتكمن بلاغة هذه الصورة في:

" أن للبيان بعد الإبهام وقعًا في النفس وأثرًا حسنًا، فالشيء إذا أبهم تطلعت النفس، واشتاقت لبيانه، فإذا جاء البيان صادف نفسًا يقظة متطلعة، فيتمكن فيها فضل تمكن " [١].

وآثر النفي بـ **(لا)** دون **(لن)** ؛ لأن " النفي بـ **(لا)** أطول من النفي بـ **(لن)** ؛ لأن آخرها ألف، وهو حرف يطول فيه النفس، فناسب طول المدة، بخلاف **(لن)** ؛ وذلك لأن الألفاظ تشاكل المعاني، ولذلك اختصت **(لا)** بزيادة مدة " [٢].

وتتجلى بلاغة التعبير في إيثاره الفعل المضارع المنفي **(لا يَظْلِمُهُ)** والذي يفيد تجدد وحدوث نفي الظلم والتعدي على أخيك المسلم.

وحقيقة الظلم تكمن في " مجاوزة الحد، ووضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بزيادة أو نقصان ـ وإما بعدول عن مكانه أو وقته، ويقال في الكثير والقليل، ولهذا يستعمل في الذنب الصغير، والذنب الكبير" [٣]، وله صور كثيرة ووجوه متنوعة، ومنها ظلم العبد لغيره من العباد، وهو المقصود هنا، وهو

---

(١) علم المعاني د/ بسيوني فيود ١٥٠/٢ مؤسسة المختار – دار المعالم الثقافية ١٩٩٨م.

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٢٠ – ٤٢١ ت محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.

(٣) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٥٤١، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ط المكتبة العلمية بيروت – لبنان، لسان العرب مادة ظلم، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق: محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة – بيروت ص ٣١٥.

أعظم أنواع الظلم.

والظلم محرم بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقال ﷺ **" اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة "**(١).

وكذلك ورد في الشعر ومنه قول الشاعر (٢):

أما والله إن الظلـــــم لـــــــؤم

ومازال المسيء هو الظلـــوم

إلى الديان يوم الدين نمضي

وعند الله تجتمع الخصـــــوم

ستعلم يا ظلـــوم إذا التقينـــــا

غدًا عند الإله من الملـــــــوم

وقال تعالى في حديث قدسي: **" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا"**(٣).

وسرقة الفكرة، والتعدي عليها يعد من أبواب الظلم، فلا يجوز التعدي على أفكار الآخرين، فلا تُمْنَع حقوقهم، ولا تُبْخَس أشياءهم، وكل تعدٍ على مصالح العباد، أو تقصير في حقوقهم يعد ظلمًا لهم، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، ومن الظلم بالقول الكذب والبهتان، والادعاء، وسرقة أفكار الغير.

وعاقبة الظلم عاقبة وخيمة أليمة، وقد توعد الله – عز وجل – أهله بالعذاب والنكال الشديد فقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَـرْفُهُمْ وَأَفْئِـدَتُهُمْ

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٩٩٦ كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) الأبيات لأبي العتاهية في ديوانه ٢٤٦، ٢٤٧، وفي بهجة المجالس ١/ ٣٦٨.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٥٧٧.

(٤) الفرقان / ٣٧.

هَوَاءِ﴾[١]، وإنه لوعيد تنخلع له القلوب الحية، وتقشعر له الجلود، وكفى به زاجرًا عن مقارفة الظلم أو الإعانة عليه.

وتأتي الجمل معطوفة بالواو في قوله: " ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ " لما بينهم من توسط بين الكمالين، ولقوة المناسبة بينهم.

ففي الجملتين استكمال لحقيقة الأخوة في أنه إذا استنصر المسلم أخاه المسلم فلا يخذله ولا يسلمه لعدوه، وفي التعبير إشارة إلى نصرة المظلومين والضعفاء، والمعنى: أي لا يترك نصرته مع القدرة، وخذلان المسلم للمسلم ترك نصرته، وعدم إعانته على ظالمه.

وخص الفعل المضارع المنفي: (لا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ) ؛ لإفادة تجدد وحدوث عدم خذلانه، وعدم تحقيره، فلا يزدرية، ولا ينتقصه.

وآثر الرسول ﷺ نفي هذه الصفات خاصة دون غيرها ؛ لانتشارها في المجتمع، فالظلم والخذلان، والسخرية والتحقير آفات متفشية في المجتمع ؛ لذا استوجب لتحقق معنى الأخوة ألا يظلمه، وألا يخذله وألا يحقره وينتقصه، وإذا ما تحقق نفي هذه الخصال ؛ أثمر ذلك المحبة والوئام بين أفراد المجتمع، وينتقل المسلم في إسلامه من دائرة الخصوصية والأثرة إلى دائرة العموم والإيثار، فيحيى في مجتمعه حياة ملؤها المحبة والوئام، والتعاون على البر والإحسان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

وذلك هو الرقي الخلقي، والسلوك الحضاري، والتطبيق العملي لما جاء به الإسلام.

وهكذا يبدو جليًا في الحديث الشريف حرص الرسولﷺ على التزام الخصال الحميدة والسلوك القويم، والرقي الخلقي قولاً وعملاً، وترك الخصال المذمومة، والتنفير منها، تلك الخصال التي تقدح في إنسانية الإنسان، وتنال من كرامته.

وكان للضمير في: **(لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ)** أهمية بالغة في

---

(١) إبراهيم: ٤٢، ٤٣.

(٢) المائدة ٢.

تماسك النص النبوي وانسجامه حيث يتميز ضمير الغائب في الإحالة على ما سبق، والقدرة على بناء شبكة من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ربطًا محكمًا يتحد فيه البناء.

كما قامت الإحالة التكرارية بدورها في ترابط النص النبوي، فتكرر حرف النفي (**لا**)، وقد حقق هذا التكرار – إضافة إلى الترابط النصي – التأكيد والحسم في الموقف بالدعوة إلى عدم الظلم للآخرين وعدم التعدي على حقوقهم، وعدم خذلانهم، وعدم تحقيرهم، وبذلك يزيد التكرار من تماسك النص، بتكرار وحدة من وحدات بنائه بإعادتها ثانيًا ؛ لتأكيد دلالتها.

" ومن ثم كانت بواعث الإعادة والتكرار في الحديث النبوي راجعة إلى ما تقتضيه بلاغة الخطاب التبليغي والتعليمي، وما تستوجبه الحاجة إليه بحيث لا تقف هذه الظاهرة الأسلوبية عند حدود تحقيق الغاية الجمالية الإمتاعية فحسب، بل تتجاوزها إلى التحول بأساليب صياغتها إلى منجز سلوكي يحقق الغاية التربوية في الواقع الفعلي في حياة المسلمين"[١]، كما يعمل على " تركيز الدلالات في إطار جمل موجزة تتخلل العبارات لتوضيح دلالاتها "[٢].

وتأمل معي دقة الأسلوب النبوي في فصل الجملة " **التَّقْوَى ها هُنَا**" عما قبلها، وذلك لما بينهما من شبه كمال الاتصال، حيث وقعت الجملة بمثابة الجواب عن سؤال قد أثارته الجمل السابقة، والمعنى: فَلِمَ كان من ملامح حقيقة الإخوة ألا يظلمه وألا يخذله وألا يحقره ؟، فيأتي الجواب بأن ذلك من باب التقوى والتقوى محلها القلب.

وذلك الاتصال بين الجمل يعمل على التماسك النصي، والتلاحم بين أجزاء الجمل.

ويتآزر على ذلك المعنى تعريف التقوى بأل في قوله: " **التَّقْوَى ها هُنَا**" ؛ وذلك لدلالة (**أل**) على كمال الوصف أي أن التقوى الكاملة إنما هي التي تكمن

---

(١) البلاغة في القرآن والسنة د/ عزة جدوع ط ٢٠١٢ مكتبة الرشد ص ٢٠٥، الطبعة الأولى.

(٢) من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف د/ فتحية محمد فرج العمدة ص ١٣٠ ط ١/ ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.

في القلب ويصدقها العمل بعدم الظلم وعدم الخذلان وعدم التحقير له، كما أن في التعريف بها دلالة على تعظيم شأن التقوى وكمال العناية بها ومراعاتها في الأمور كلها.

ويتجلى في الحديث الشريف حرص الرسول ﷺ على الاهتمام بتربية الإنسان المسلم على تقوى الله ؛ إذ يبدأ بتوجيهه العظيم بالدعوة إلى الأخوة والتوادد والتحابب والتراحم فيما بينهم، ثم يبين أن حقيقة الأخوة تكمن في عدم ظلمه أو هضم حقه، وعدم خذلانه، وعدم تحقيره، ثم يشير إلى أن ذلك من التقوى، والتقوى محلها القلب.

واستعان البيان النبوي هنا بلون آخر من التصوير يؤازر التصوير بالكلمة، وهو التصوير بالإشارة في قوله: **"" التَّقْوَى ها هُنَا"** ويشير لصدره ثلاث مرات.

فيأتي التصوير بالإشارة: " لتجسيد استراتيجية خطابه ﷺ، وإبلاغه المعنى للمتلقي واضحًا ومؤثرًا في النفس ؛ تحقيقًا لغاية إيضاحية؛ لجمعها بين التوصيل والإقناع "[١]، فيتقرر المعنى في نفسه مرتين أحدهما بالمعنى المجرد والآخر بالمعنى الحسي، فيتمكن في النفس فضل تمكن، فالتصوير بالإشارة " يعد لون من ألوان التصوير التي توضح الفكرة، وتبين المراد "[٢].

وأشار الرسول ﷺ إلى صدره ثلاثًا ؛ للتأكيد على المعنى، كما شكل حرف التنبيه (**ها**) والإشارة التي تفيد الظرفية (**هنا**) تنبيها وحضورًا قويًا في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به.

وتتجلى بلاغة الإيجاز بالحذف في قوله: (**ها هنا**) حيث حذف متعلق (**ها هنا**) والتقدير: مستقر، وذلك للتنزه عن العبث لوضوح الدلالة عليه.

ولا ريب أن البلاغة النبوية قد عدلت بالمعنى من اللغة المجردة إلى الوسيلة التوضيحية التربوية حينما أشار النبيﷺ إلى صدره ثلاثًا وذلك: للدلالة على مكان التقوى " [٣].

---

(١) انظر البلاغة في القرآن والسنة د/ عزة جدوع ص ٣٥٧: ٣٥٨.

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ ص ٥٢٥ ط المكتب الإسلامي بيروت ط ١، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.

(٣) السابق ص ٥٣٠.

فكـان لهـذا عظـيم الأثـر فـي لفـت النظـر، وتنبيـه الغافل،وجـذب الانتبـاه ؛ ليتمكن المعنى في النفس.

وتتجلى بلاغة المجاز المرسل في إشارته إلى الصدر، وإرادة ما بداخله وهو القلب لعلاقة المحلية، وكان لذلك التعبير عظيم الأثر في تأكيد المعنى ؛ فكأن التقوى قد ملأت القلب، ثم فاضت حتى كان الصدر محلاً لها هي لا القلب فقط.

ويسلك البيان النبوي في سبيل تأكيد المعنى، وتوضيح الصورة وأبعادها، طريقة التكثيف في الجمل والعبارات المتلاحقة عن طريق الإجمال والتفصيل بغية جذب انتباه المتلقين، وإثارة مشاعرهم نحو إدراك الجزئيات والتفاصيل على مستوى النص النبوي بطريقة أكثر وضوحًا، فتأتي الجملة: **"بحسب امْرِئٍ من الشَّرِ أن يَحْقِرَ أَخاه المُسْلِمَ "** مفصولة عما قبلها، وذلك لما بينهما من كمال اتصال، فوقعت هذه الجملة من سابقتها بمنزلة البيان والتوضيح لما أجمله من قبل في قوله: **" ولا يَحْقِرُهُ"** فجاء هنا ليوضح ويبين ويقرر أن تحقير المسلم لأخيه المسلم هو من الشر بمكان.

وتآزر على ذلك المعنى مجيء حرف الجر الزائد في قوله: **"بحسب "** وذلك للتأكيد على المعنى وتقريره، وقد استطاعت الإضافة في قوله: **" بحسب امْرِئٍ "** أن تصور حالة المرء المسلم وموقفه من الشر وهو يحقر أخاه المسلم، وفي الإضافة إثارة للنفس وحثها على ترك التحقير والاستهانة بأخيه المسلم.

ومما تعاون على أداء المعنى على أكمل وجه تقديم الجار والمجرور **" من الشَّرِ"** وذلك للقصد إلى الاختصاص.

أي أن احتقار المسلم لأخيه المسلم هو من جنس الشر لا غيره، ففي تخصيصه بالشر ما يؤكد على المعنى.

ومن دقة الأسلوب النبوي أن آثر التعبير بالمصدر المؤول في قوله: **" أن يَحْقِرَ "** دون التصريح فلم يقل **" احتقار"**، وذلك للدلالة على التجدد والحدوث باعتبار ما هو عليه، وللدلالة على الثبوت والدوام باعتبار ما يؤول إليه، فهو يجمع بين مزيتين: التعبير بالفعل باعتبار الحال، والتعبير بالاسم باعتبار المآل، كما أن مجيء الفعل **" يَحْقِرَ"** ليدل دلالة واضحة على استحضار هذه الصورة في الذهن للتنفير منها.

ومما تعاون على توضيح المعنى وإظهاره تقييد المسند بالمفعول (**أخاه**) ؛ وذلك لتربية الفائدة، وللإشارة إلى ما في عاطفة الأخوة مما يقتضي عدم الخوض في حقه بالتحقير أو الاستهانة به وبحقوقه، وفيها تذكير بتلك العاطفة كي يعمل المتلقي بمقتضاها.

كما كان في الوصف بالمسلم ما يؤكد على ذلك المعنى وخاصة بين المسلم وأخيه المسلم.

ويتوج النبي ﷺ الحديث النبوي بالتذييل في قوله: " **كل المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرامُ** ".

والغرض منه التأكيد على المعنى السابق ؛ للحفاظ على حرمات المسلمين، وصيانة دماءهم وأموالهم، وأعراضهم، ففصلت الجملة عما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال، حيث وقعت هذه الجملة مما قبلها منزلة التأكيد المعنوي.

وهناك صلة وثيقة بين الجمل بعضها وبعض، " وإدراك هذا الضرب من الصلة بين المعاني يحتاج إلى مزيد من التأمل في المعنى، ومعرفة جوهره ؛ لأن التأكيد هنا ليس بأمر لفظي ظاهر، وإنما ترى جملة ثانية ذات معنى جديد إذا أدرته في نفسك وجدته يلتقي مع معنى الجملة السابقة [١].

فكل جملة هنا تعطي معنى، وفكرة جديدة تدخل في بناء الكلام وتركيبه، **ففي الجملة الأولْىّ**: "**المسلم أخو المسلم** "، وجه وأرشد الأمة إلى التآخي فيما بينهم: **وفي الثانية**:(**لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ**)، بيّن لهم ملامح الأخوة، **وفي الثالثة: "التَّقْوَى ها هُنَا"** يبين أن ذك من التقوى، وان التقوى محلها القلب، ويؤكد على هذا المعنى السابق في الجملة الرابعة في قوله: " **بحسب امْرِئٍ من الشَّرِ أن يَحْقِرَ أَخاه المُسْلِمَ** " ففيه إخبار بأنه يكفي المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، فذلك مما ينافي حقيقة الأخوة، ويتوج كل ذلك بالتذييل في قوله: " **كل المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرامُ** " تأكيدًا على ما سبق، وهذه كلها حقائق يقررها النبيﷺ نهضت كل جملة بواحدة منها، وهذا الاتصال بين الجمل كان له عظيم الأثر في سبك النص وتماسكه، فكل جملة كانت لبنه في البناء النصي المتماسك،

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية أ.د/ محمد أبو موسى ص ٢٩٥ ط ١ مكتبة وهبه ط ٢، ١٤٠٨ه ــ ١٩٨٧م.

فحين تتأمل الكلام وتنظره تجد أن هذه المعاني السابقة تتداخل وتتآزر لتأكيد حقيقة واحدة، وهي حقيقة الأخوة، التي بها يتراحم الناس فيما بينهم

وبدأ جملة التذييل بلفظ العموم **(كل)**، والذي يفيد اتساع دائرة الكلام ليشمل حرمة التعدي على المسلم لا قولاً ولا فعلاً، فلا يباح منه شيء ، لا قليل ولا كثير، ولا شك أن سرقة الفكرة نوع من أنواع التعدي التي جعلها النبيﷺ محرمة فيما بينهم، فَيحْرُم على المسلم التعدي على غيره ، وعليه أن يحفظ له حقوقه ؛ فلا يبخس منها شيء لا قليل ولا كثير، ونِتاجه الفكري يندرج ضمن هذه الحقوق.

وتتجلى بلاغة الأسلوب النبوي في تنكير **(حرام)** ما يفيد التعظيم لحرمة المسلم على المسلم.

ومما يتعاون على توضيح المعنى وتأكيده، التقييد بالجار والمجرور **(على المسلم)**، وذلك لتربية الفائدة للتشديد على حرمته بمعنى ألا يباح منه شيء لا صغير ولا كبير.

وفي التقديم للجار والمجرور**(على المسلم)**، ما يفيد العناية والاهتمام، فإذا ما كان لغير المسلم حرمة التعدي على حقوقه فحرمة المسلم أولى بالعناية والاهتمام.

وتتجلى بلاغة التصوير في التعبير بالحرف **(على)** فصور تمكن تحريم المسلم على المسلم بالاستعلاء الحسي على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف.

وتكمن بلاغة التصوير في التوضيح والبيان للمعنى، أي أن تحريم أذية المسلم لأخيه المسلم متمكنة منه، فكله لا يباح منه شيء.

ومن دقة التعبير النبوي أن أتى بالبدل وما عطف عليه على سبيل التدرج والترقي فذكر بداية **"دمه"** وعطف عليه **"ماله"** ثم **"عرضه"** وفقًا لما عليه واقع الحال من الاهتمام والعناية.

وشأن الدم في الإسلام عظيم وخطير، وقد جاء مقرونًا بالشرك **والزنا في قوله تعالى:** ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ**

﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (١).

والمقصود بالدم: الدم المراق منه سواء كان دم مزهق ومزيل للحياة، أو مؤذي بجرح ونحوه.

ويليه في كمال العناية والاهتمام المال في قوله: **"وماله"** وذلك لعظمه لدى المسلم فقال ﷺ **" لا يحل مال امرئ إلا بطيبة نفس منه"**(٢) وقوله: **" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا "** (٣).

ويلي المال في كمال العناية والاهتمام العرض في قوله: **"وعرضه"** فالمسلم مأمور بالحفاظ على حرمات المسلمين، وصيانة أعراضهم، فلا يحل له أن يصيب من ذلك شيئًا بغير حق، وكان من العناصر المتوافرة لسبك النص وتماسكه وجود الضمائر **" دمه وماله وعرضه "**حيث ترتبط بالبناء اللغوي للمعاني الذي يحمل غرضًا هامًا وهو: تقديم جمل متوازنة مترابطة لا انقطاع فيها، فهي علاقة معنوية تربط بين أجزاء النص النبوي.

ونلحظ لطيفة بلاغية في تعريف الدم والعرض والمال بالإضافة إلى ضمير الغيبة في قوله: **"دمه وماله وعرضه"** ؛ وذلك كي يتنبه المسلمون إلى حقيقة هذه الدماء والمال والعرض، فالدم دمه، والمال ماله، والعرض عرضه، وهذا أدعى إلى استيقاظ العقول، وإلهاب المشاعر، كي يكفوا عن هذه الانتهاكات المشينة، التي تنافي حقيقة الأخوة، وإذا رعى المسلمون تلك المبادئ الذي أصلها هذا الحديث، وصارت أخوتهم واقعًا ملموسًا فسوف نشهد أيامًا من العزة والرفعة لهذه الأمة.

ولن تبلغ هذه الوحدة الوطنية مداها حتى يرعى المسلم حقوق أخيه المسلم وغير المسلم، ويؤدي ما أوجبه الله عليه تجاههم ؛ وليتحقق ذلك لابد من مراعاة

---

(١) الفرقان ٦٨.

(٢)أخرجه: أحمد في مسنده، ٧٢/٥ ح٢٠٧١٤، والبيهقي في السنن الكبري، كتاب الغصب، باب من غصب لوحا فأدخله في سفينة أو بنى عليه جدارا،١٠٠/٦ ح١١٣٢٢، ٣ ـ الدار قطني في سننه، كتاب البيوع، ٢٦/٣ ح ٩٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٤٣، رواية عبد الله بن عمر.

جملة من الأمور وهي: العدل معهم، وعدم التعدي على حقوقهم الفعلية والقولية، والمسارعة إلى نجدتهم ونصرتهم بالحق في موطن الحاجة كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[1] فكل المسلم على المسلم حرام فلا يباح منه شيء لا دمه ولا ماله ولا عرضه.

وفي الحديث النبوي الشريف دليل على تداولية وواقعية أحاديثه ﷺ، وهو من الأحاديث التي اعتبرها العلماء منهاج حياة، وخير ترجمة لكتاب الله لا سيما في المجال الأخلاقي، والأخلاق تظهرها المعاملات.

ففي الحديث إشارة إلى مناحٍ عدة:

اجتماعيًا وداخليًا وهي "الوحدة الوطنية " من خلال الدعوة إلى الأخوة، وتحقيق الأمن الاجتماعي والسلم العام، بالتنويه إلى أسباب التباغض والتشاحن التي تُذهب الريح، وتورث الوهن، والتي تشعل نار الطمع بنا، وتجلب التكالب علينا والواقع يصادق على ذلك تمامًا.

وتتجلى بلاغة التصوير بالموسيقى حيث تعددت روافد النغم في الحديث الشريف.

ولا شك أن روافد الجمال والبلاغة في الأحاديث النبوية كثيرة، ومن أعلاها: تآلفها الصوتي، وانسجام حروفها، وكلماتها وجملها في منظومة تجعل من الكلام قطعة متفاعلة العناصر، متآلفة الأجزاء.

والنغم في الحديث ينبعث من عدة مصادر، ويجمعها طريقان: نغم صوتى، ونغم معنوي.

فمن النغم الصوتي تأتيك الموسيقى من خلال أصوات الحروف والحركات داخل الكلمة، ومن اختيار الكلمات واصطفاء موقعها.

وبداية تلك النغمات تبدو في حجم الجمل داخل الحديث، فقصر الجملة أو طولها لا شك له دلالاته، فمنها ما هو قصير، ومنها ما هو طويل، ومنها ما هو متوسط، فالقصيرة تشعرك بالحدة والحسم وسرعة اللهجة وعلو الصوت كما في **" لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره"** وكل ذلك أمور لا تحتمل النقاش، أو التأجيل

---

(١) الأنفال ٧٢.

أو النظر، وهذا يصب في دائرة الإلزام بالكناية، فالقضية متعلقة بالحقوق من جهة، وبوحدة الصف من جهة، وهذه قضية لا تهاون فيها، لذا كانت النبرة عالية وسريعة.

كما كان للجملة المتوسطة والطويلة في الحديث الشريف ما اقتضاه المعنى حيث التأكيد والإقرار لتلك الحقائق التي نص عليها الحديث.

أما من حيث الحروف، فالحروف المكررة التي لا تنفك عن القارئ منها حتى ينتهي من الحديث ؛ وذلك لتشيع هذا الجو من الحفظ، والضمان الموجود في دلالتها، وذلك كتكرار حرف السين في (**المسلم – بحسب**) وهو حرف صفيري وكذلك حرف الظاء في (**لا يظلمه**) وكان لهذه الأصوات الصفيرية دور بارز في إبراز الألفاظ بروزًا متميزًا، فتبدوا أكثر لفتًا للانتباه، وأشد جلبًا للأسماع ؛ لما تمتاز به الكلمات من دلالات محورية رئيسة، فهذه الألفاظ هي محور الحديث.

وقد ولّد تردد وتكرار تلك الأصوات كما في كلمة (**المسلم**) انسجامًا في الإيقاع، وتآلفًا في الأصوات، وانشأ على المستوى البياني تأكيدًا للمعنى، وقوة في العرض.

كما كان لتكرار المد في (**لا**) أن منحت في السياق الكثير من الوضوح والإنابة، لكونها أظهر أصوات العربية وضوحًا، ومجيئها أثناء الحديث عن بيان حقيقة الأخوة وتحديد ملامحها يزيد من إبهار المتلقين، وتَفْجِم آذانهم بكل جلاء وإبانة.

كما ساعد هذا المد على إعلاء نبرة التنبيه لما سيلقى ؛ فكأنها – بما فيها من مد – تمد المعنى وتضاعف مساحته ـ وتزيد من رقعته.

ولا شك أن المد في (لا) يتوافق مع عرضها العام الداعي إلى معرفة حقيقة الأخوة، والأخذ على يد المتلقي للإصلاح والتهذيب، فهذا الامتداد الصوتي له وقع نغمي ممتد وخاصة مع تكرارها في السياق أكثر من مرة.

ـ أما النغم المعنوي فكان منه في الحديث رد العجز على الصدر حيث جاء في ختام الحديث ما يؤكد بدايته.

كل ذلك أتى ؛ ليساهم في بيان ملامح الأخوة التي دعا إليها الرسول ﷺ في الحديث النبوي الشريف، ولا يستهان بالأثر الموسيقى الذي تحدثه الكلمات،

والحروف والجمل، فهي تؤثر على المتلقي، وتهيئه لاستقبال المعاني المطروقة أحسن استقبال ؛ " لأن رنين الكلمات وجرسها، وتوافق إيقاعاتها، لغة تتغلغل في النفس والضمير[١].

***

ويمضي الرسول ﷺ في بناء المنهاج القويم لأمته، ووضع الأسس والأساليب التربوية التي تشكل نهجًا مثاليًا لبناء حدود العلاقات فيما بينهم، فيحذرنا الرسول ﷺ من إسناد القول لغير قائله.

ومن ذلك ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر[٢]: عن رسول الله ﷺ قال: **"المُتَشبِّع بِما لم يُعْطَ كلابِس ثَوْبي زُورٍ"**[٣]

فهو ﷺ بهذا المثل يحذرنا بداء خطير يصيب بعض الناس، ألا وهو داء التحايل والمخادعة والادعاء بما ليس له، وبما لا يملكه، فالذي يدعى إسناد قول ليس له يتكثر بذلك عند الناس كالمتزين بالباطل، وهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي الزور.

وللتأكيد على هذا المعنى استخدم ﷺ عدة أساليب بيانية اعتمد عليها كدعائم وآليات حجاجية لإقناع المخاطبين عامة بما يبلغهم به من أحكام وتكاليف، باعتبار أن هذه الآليات توضح المعنى، وتجسده، وتجعله قريبًا من واقع المكلفين وعالمهم، فيذعنوا لقوله ﷺ.

وبدأ الرسول ﷺ بالجملة الخبرية " المتشبع بما لم يعط" ؛ وذلك لغرض النصح والإرشاد، فكان ﷺ حريصًا كل الحرص على توجيه الصحابة إلى ما فيه

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص ٢٨٢ د/ محمد أبو موسى ط ٢ / دار التضامن للطباعة ١٩٨٠م.

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولدت عام ٢٧ قبل الهجرة وسميت ذات النطاقين، أسلمت بمكة، وحسن إسلامها، وروت أسماء عن النبي ﷺ ٥٨ حديثًا، وتوفيت بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ ولها مائة سنة، ينظر أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، ومؤسسة الرسالة ٤٧/١: ٥٣ ط ٥ / ١٩٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بَاب الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ وَمَا يُنْهَى مِنْ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ، ٢٠٠١/٥ ح٤٩٢١، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط / ١٦٨١/٣ ح٢١٢٩

خيرى الدنيا والآخرة.

وعرف المسند إليه بأل في قوله: " **المُتَشبِّع** " ؛ وذلك للدلالة على العموم أي كل من تشبع بما لم يُعْطَ فهو كلابس ثوبي زور.

وقد برع البيان النبوي في اختيار اللفظ المعبر عن المعنى بدقة فائقة فآثر التعبير باللفظ المصور للمعنى خير تصوير في قوله: (**المُتَشبِّع**)، وكان له دور في التصوير من عدة وجوه:

أولاً: كان للدلالة المعجمية دور في تصوير المعنى فقد ورد في لسان العرب [١]: تشبع الرجل: تزين بما ليس عنده، وفي الحديث: **"المتشبع بما لم يملك كلابس ثوبي زور"** أي المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك كالذي يرى أنه شبعان وليس كذلك.

ففي اللفظ [٢] تصوير لمن تزين بفضيلة ليست له بالذي يظهر الشبع وهو ليس كذلك، وطوى ذكر المشبه وتناسى التشبيه، على سبيل الاستعارة التصريحية التي عملت على توضيح المعنى وتوكيده في الذهن.

ثانيًا:كما كان لإيثار صيغة اسم الفاعل دَورُ في الدلالة على الثبوت والدوام لمن وقع منه التشبع بما لم يملك، فصيغة اسم الفاعل تدل على " الحدث والحدوث وفاعله " [٣].

ثالثًا: مبنى الكلمة " **مُتَشبِّع** " فكان لتضعيف الباء دور في تصوير المعنى، فالتضعيف أفاد التأكيد على صفة التشبع، والمبالغة في وصف التزين بفضيلة ليست له، وقد جاء هذا من التكثير الذي يفيده تضعيف الباء.

وقد دل على إلصاق التشبع بما لم يملك حين جاء بحرف الجر الباء في قوله: (بما) وذلك زيادة في الإيضاح.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة شبع.

(٢) فالمتشبع هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان، والمراد أنه يظهر أنه حصلت له فضيلة وهي لم تحصل، أي الذي يزور على الناس بأن يظهر بهيئة خادعة ليعبر به الناس. لسان العرب لابن منظور مادة شبع.

(٣) شرح التصريح على التوضيح تأليف / خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاني الأزهري زين الدين المصري المعروف بالوقاد ت ٩٠٥) – ٢/ ١١ دار الكتب العلمية – بيروت – لينان – ط ١ / ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

كما استخدم الاسم الموصول المبهم (ما) للدلالة على العموم، أي كل من تشبع بجميع ما لم يعط أو يملك أو يسند لنفسه شيئًا ليس له، وذلك لتتسع الدائرة لتشمل كل من أسند لنفسه شيئًا ليس له من أمور، فليس الأمر مختصًا بما ورد في سياقه، فقد ورد الحديث في سياق الجواب عن سؤال امرأة قالت للرسولﷺ **"إن لي ضَرَّة، هل عَليَّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني ؟ أي تسند له ما لم يفعله**.

وتعاون على إيضاح المعنى التعبير بالفعل المضارع المنفي **(لم يعط)** وذلك للدلالة على التجدد والحدوث، كما أن فيه استحضار لتلك الصورة في الذهن، وتصوير وتمثيل لها أمام الأعين ؛ للتنفير منها، والتحذير من الوقوع في هذا المآل.

وتأتي الصورة التشبيهية التمثيلية ؛ لتجعل الأمر أكثر وضوحًا، فقد شبه الرسول ﷺ حال من تشبع بما لم يعط بحال من لبس ثوبي زور، والغرض منه التنفير والتحذير من الوقوع في هذا المآل، وفي الصورة إشارة إلى أن المدعى ما ليس له يورد نفسه وغيره موارد الهلاك مثله مثل مدعي الزور الذي يظلم نفسه بالعاقبة السيئة، ويظلم غيره من المشهود عليه، فيوقع عليه حكمًا شديدًا بسبب قيله الزور.

وفي التعبير بصفة اسم الفاعل: " لابس" ما يدل على ثبات ودوام لبسه لثوبي الزور، وفيه تأكيد للمعنى المراد.

ومن دقة التعبير في البيان النبوي إضافة اسم الفاعل (لابس) إلى "ثوبي" ثم إضافة الثوبين بعد ذلك إلى (زور) وفي هذه الإضافة ما يشعر بالتنفير من ذلك المآل، والتحذير من هذا الجزاء المترتب على ادعاء الإنسان لما ليس له.

وفي إسناد الزور إلى الثوبين مجاز عقلي، فالثوبان ليسا هما الفاعل الحقيقي للزور، وإنما لبسهما سبب فيه، وفي هذا الإسناد دلالة على قوة فاعلية السبب، وشدة تأثيره، وكأنه الفاعل الحقيقي، والتجوز هنا أفاد المبالغة في إظهار قبح هذا الادعاء والتحلي بالباطل للتنفير منه.

والمقصود بثوبي الزور: ثوب الكذب والبطلان والبهتان، أي كالذي يظهر بهيئة خادعة ليغتر الناس به، وقيل المراد بالثوب هنا كناية عن حال

لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن "[١].

وقيل هو كناية عن الأنفس كقولهم: فلان نقيّ الثوب إذا كان بريئًا من الدنس.

والأولى بالمعنى أن يكون الثوب على الحقيقة أي أن شاهد الزور قد يستعير ثوبين يتجمل بهما ؛ ليوهم أنه مقبول الشهادة، ومنه أقضاها بثوبيه يعني الشهادة، فأضيف الزور إليهما لحصوله عليه استعارة أو غصبًا أو سرقة فهما في حقه زور.

وإنما جعل النبي ﷺ التشبيه على التثنية في قوله: **" ثوبي الزور"** وذلك للإشارة إلى تثنية الزور، لوجود طرفين أحدهما الأخذ والثاني الإبداء، فهو مزور في أخذه إن أخذ هذا الثوب بدون وجه حق، ومزور في إبداءه إذا أظهر نفسه للعيان كأن هذا الثوب ملك له.

ومثل ذلك القول في تعليم علم لا يحسنه المعلم، فهو مزور في أنه يُحدّث بشيء لم يتلقه، وكذلك مزور إذ يُحَدِّث بشيء يلقيه ليس منه، فهو في الطرفين تحملا وأداء مزور، فاستحق التشبيه بالتثنية.

وقال الداودي: في التثنية إشارة إلى أنه كالذي قال الزور مرتين مبالغة في التحذير من ذلك "[٢].

وقيل إن بعضهم كان يجعل في الكم كمًا آخر يوهم أن الثوب ثوبان فكأنه ارتدى بأحدهما وتأزر بالآخر ففيه إشارة إلى أنه متصف بالزور من رأسه إلى قدمه.

ومنه قول القائل: إذا هو بالمجد ارتدى وتآزر.

ويحتمل أن يكون في التشبيه بالتثنية إشارة إلى أنه حصل بالتشبع حالتان مذمومتان: فقدان ما يتشبع به، وإظهار الباطل الذي يعقبه سوء المآل ؛ وذلك لأن كذب المتحلى بالباطل مثنى ؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ، وعلى غيره بما

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ٢٢٨/٩ ط ٣ دار الريان للتراث.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري٩ / ٢٢٩ للإمام ابن حجر العسقلاني تحقيق محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الريان للتراث الطبعة الثالثة.

لم يعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه.

ولقد ساعدت الصورة التشبيهية في الحديث على تصوير المعنى، فارتبطت به ارتباطًا قويًا، مما يجعل المعنى قريبًا إلى القلوب تتأثر به مشاعرهم وعقولهم، واتسم الحديث النبوي الشريف بالإيجاز، فهو يحوي بين دفتيه العديد من المعاني، ليدلنا على مآل من ادعى شيئًا ليس له، فعاقبته وخيمة، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب﴾ (١) ومنه قوله تعالى: ﴿لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٢).

والألفاظ في الحديث واضحة غير نافرة، متناسقة مع المعاني، مرتبطة به، فالحديث الشريف يضرب مثالاً توضيحيًا شارحًا لمن يظهر حصوله لشيء ليس له، متجملاً به كلابس ثوبي زور، وبالمثال يتضح المقال، ويستقر ويتمكن في النفوس، وهذا أصل من أصول العلم ينبغي إحكامه.

ومن المؤثرات الموحية في إيقاع الحديث أن لكل كلمة وقع في السمع، وتمتاز اللفظة في الجملة عن سواها في " جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لِما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى"(٣).

وامتازت لغة الحديث بإيقاعاتها وموسيقاها، فمثلت صورة للتناسق الفني فيه، ومرآة عاكسة لتصوير معانيه، فإيقاعاته تنبع من مكنونات لغته بائتلاف أصواتها، واتساق ألفاظها وتناسقها، وقابليتها التناغمية على أداء المعنى، ودلالتها عليه.

ومن ذلك ما جاءت عليه أصوات لفظة (المتشبع) فهي على وزن المتفعل، وهذه الصيغة تفيد المشقة والجهد في حصول التشبع، وافتعال أمر ليس له، فمبني الكلمة دال على معناها، هذا بالإضافة إلى ما في حرف الشين من القوة والشدة، التي تتناسب وتتوافق وشدة إيقاعه في المعنى.

ومما لاحظه اللغويين المحدثون في الصوت الشديد: " إن الأصوات الانفجارية سريعة الانقضاء في نطقها، أي لا تستغرق وقتًا طويلاً في لفظه "(٤) مما يؤيد الموقف والمعنى الذي جاءت له هذه الكلمة.

---

(١) سورة غافر آية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران آية: ٦١.

(٣) التعبير الفني في القرآن / بكري شيخ أمين ص ١٧٩.

(٤) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ١٦٠، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢٠٠٧م.

ومن أهم روافد النغم في الحديث إيقاعات ألفاظه، والتي جاءت متناسبة متناسقة مع بعضها البعض متوافقة مع المعنى المراد.

وهذه كلها وشائج وروابط من شريف النظم تزيد الحديث تماسكًا وتناسبًا والتحامًا، وهو من النظم الذي قال فيه صاحب الإعجاز: " ومن النظم ما أنت ترى الحسن يهجم عليك منه دفعة، ويأتيك منه ما يملأ العين ضربة "[١]، وعلى هذا النحو من صاحب اللسان المبين، والمنطق المستقيم، والحكمة البالغة، والكلمة الصادقة، جاء إنجازه البلاغي في الأحاديث الشريفة بألفاظه القليلة ودلالتها العميقة والدقيقة والشاملة.

****

ومما لا شك فيه أن الفكرة من الملكيات الخاصة، وقد دعت السنة النبوية إلى حمايتها بأن حفظت لصاحب الفكرة الأولى حق السبق إليها، وجعلته أولى الناس بها.

ومن ذلك ما ورد عن عمران بن حُصين [٢] أن رسول الله ﷺ قال: **" يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب "** قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: **" هم الذين لا يَسْتَرقُون، ولا يَتطيّرُون، ولا يَكْتُوون، وعلى ربهم يتوكلون "**، فقام عُكّاشة بن محْصَن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال: نعم " فقام آخر فقال: أمنهم أنا ؟ فقال: "سبقك بها عُكّاشة"[٣].

ومقصود الحديث بيان أن هناك فئة من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب، ولهم منزلة عالية لمزايا اختصوا بها ذكرت في الحديث، وهي أنهم لا

---

(١) دلائل الإعجاز تحقيق محمود شاكر أبو فهر ص ٨٨.

(٢)عمران بن حُصين بن عبيد بن خلف، أبو نجيد الخزاعي، صاحب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأبو هريرة معًا، وله عدة أحاديث وولى قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، فكان الحسن يحلف ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين، توفى سنة اثنتيِّن وخمسين، ينظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/ ٥٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٨

(٣)أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ.١٣٧/١ ح٥٤٧. واللفظ له من حديث عمران ابن حصين ﷺ، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه : البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ٢٣٧٥/٥ ح٦١٠٧.

يسترقون: أي لا يطلبون الرقية من أحد ؛ لكمال توكلهم على الله، وتعلق قلوبهم به، ولا يتطيرون: أي لا يتشاءمون ؛ لأن التشاؤم منهي عنه، ولا يكتوون: أي إذا مرضوا لا يكتوون، وإن كان طلب الكي جائز، إلا أن الوصف الجامع لهذه الصفات هو: كمال تعلق القلوب به سبحانه وتعالى.

والرقى كذلك مشروعة لقوله ﷺ: **" لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا "**[١]، وقد رقى النبي ﷺ بعض أصحابه أما المنهي عنه فهو الاسترقاء أي طلب الرقية من الغير.

وفي الحديث الشريف يبشر النبي ﷺ بأن هناك من سيدخل الجنة بغير حساب، وهم الذين يتوكلون عليه حق توكله.

وقد اتخذ البيان النبوي طريق الحوار، وآثره في السياق؛ ليكون أوقع في النفس، والمتكلم يصل من خلاله إلى تمكن المعنى في نفس المتلقي، فهو يجيب عن كل ما يتبادر إلى الذهن من أسئلة، وعند تلقي الجواب يتمكن المعنى في الذهن فضل تمكن.

وبدأ السياق بالجملة الخبرية **(يدخل الجنة)** لغرض التشويق إلى معرفة من سيدخلون الجنة بعير حساب ؟

وفي إيثار التعبير بالفعل المضارع **"يدخل"** دلالة على الاستقبال ؛ لعموم الحكم، فقد شمل الفعل جميع الأمة ممن انطبق عليهم الصفات من لدن الصحابة وإلى قيام الساعة.

كما أن في الفعل المضارع استحضارًا لصورة دخول الجنة مما يدخل السرور على النفس، ومما يحفز المتلقي أن يبذل قصارى جهده لأن يكون ممن يتوكلون عليه حق توكله، ففي استدعاء صورة دخول الجنة بالمضارع تشويق، ومسارعة في الوصول إليها.

ويزداد الكلام إيضاحًا، والألفاظ انشراحًا حين جاء متعلق الفعل **(يدخل)** مفعولاً معرفًا بلام العهد فقال: **" الجنة"** فهي جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"

وآثر التعبير بغير في **(بغير حساب)** دون (لا) وذلك للدلالة على المغايرة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢٢٠٠، وأبي داود رقم ٣٨٦٦.

التامة، بين من يتوكلون على الله حق توكله وبين غيرهم.

وبعد أن أخبر الرسول ﷺ بأن هناك سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بغير حساب، ولم يذكر من هم، أو ما هي صفاتهم في بداية الأمر تشويقًا له، وحثًا على إثارة أذهانهم، فقالوا: من هم يا رسول الله ؟ **قال: " هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ".**

وعبر بالجملة الإسمية للدلالة على الثبوت والدوام لهذه الأوصاف.

ويتآزر على ذلك المعنى التعبير بضمير الغيبة **"هم"**، وذلك لاقتضاء المقام له، فالحديث عن صفات أناس سبق ذكرهم يدخلون الجنة بغير حساب ؛ بالإضافة إلى ما يضيفه هذا الضمير من دلالة على التفخيم والتعظيم لمكانة هؤلاء المتصفين بتلك الصفات تميزًا لهم، فأبرز الضمير **(هم)**هذه المكانة في صورة جعلت كل شخص يرجو أن يكون منهم.

وجاء المسند اسم موصول **(الذين)** لتوضيح صفات من يدخلون الجنة بغير حساب، ليجعلها ظاهرة ومعروفة، بحيث لا يمكن تجاهلها، وجملة الصلة **(لا يسترقون)** أراد بها ﷺ تقرير هذه الصفات وإثباتها، وقد دخلت "لا" النافية على الأفعال المضارعة: **" يسترقون، يَتطيّرُون، يَكْتُووُن "** فأفادت نفي الفعل في المستقبل، واستمرار هذا النفي وتجدده.

وقوله: **" لا يسترقون "** من الاسترقاء، وهو: العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات، وكذلك الرقية"[١] وفي الفعل المضارع تجدد وحدوث لعدم الاسترقاء وقت تلو الآخر.

ونفي التطير في الحال والاستقبال، والتطير معناه: التشاؤم أي: لا يتشاءمون بالطيور من عادات كانوا يعتادونها قبل الإسلام، والطِيرَةُ ما يكون في الشر، والفأل ما يكون في الخير" [٢].

---

(١) نخب الأفكار في تنقيح معاني الأخبار في شرح معاني الآثار لبدر الدين القيني ١٤/ ١٥٢، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ط ١ / ٢٠٠٨م.

(٢) عمدة القارى في شرح صحيح البخاري ٢٣ / ٦٩ لابن محمد ابن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني ت ٨٥٥ ه – دار إحياء التراث – بيروت.

وفي قوله: " **ولا يَكْتُووُن** " بمعنى لا يعتقدون أن الشفاء من الكي " كما كان عليه اعتقاد أهل الجاهلية "[١].

فقد نفى عن أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب طلب الاكتواء، وطلب الرقية من غيرهم، والتطير، وتلك صفات متجددة فيهم مرة تلو الأخرى، وحال بعد حال.

وفي هذه الأفعال ما يدل على ملازمة تلك الخصال لهم وتتجلى بلاغة الإيجاز في حذف المفعول من الأفعال السابقة للاهتمام بالأفعال والتركيز عليها لتكثيف الصورة.

وزيل ﷺ الحديث بما يتناسب وخصال هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب فعطف عليها قوله: " **وعلى ربهم يتوكلون** " من باب عطف العام على الخاص ؛ لأن كل ما سبق من صفات تتطلب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، ولا ينتظر العون ممن سواه، فقلبه معلق بالخالق، فلا يطلبه من مخلوق سواه.

وحاصل ذلك قد ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[٢].

ومما يؤكد على ذلك المعنى تقديم متعلق الفعل " **يَتَوَكَّلُــون** " وهو الجار والمجرور " **عَلَى رَبِّهِمْ** " والذي يضيف على المعنى مزيدًا من اليقين بأن قصر التوكل عليه وحده لا يتعداه إلى غيره، وفيه استسلام مطلق لقضاء الله تعالى، كما أن في التقديم مراعاة للجرس الموسيقي الحاصل من فواصل الجمل النبوية.

ومن دقة الأسلوب النبوي أن آثر التعبير بالفعل المضارع (**يَتَوَكَّلُون**) وذلك لتجدد حدوث التوكل على الله، كما أن فيه استحضار لصورة التوكل في قلوبهم.

وقد عطفت الجمل بالواو، وذلك للتوسط بين الكمالين فقد اتفقت الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود المناسبة للوصل، وحسن الوصل لتوازن جمله.

وجاء الصحابي الجليل لحرصه أن يكون منهم ؛ ليسأله ﷺ: أمنهم أنا يا

---

(١) السابق ٢١/ ٢٤٥.

(٢) سورة الشورى آية ٣٦.

رسول الله ؟ قال: **" نعم"**.

فيظهر من خلال سؤاله حرصه الشديد على أن يكون منهم ؛ لإيثارة أداة الهمزة للاستفهام، ولتقديم الجار والمجرور على المسند إليه، في **" أمنهم"** أنا ولأداة النداء **(يا)** الدالة على التعظيم والتشريف للرسول ﷺ، وفي ذلك ما فيه من إظهار مدى التشوق واللهفة لمعرفة الإجابة.

وتأتي الإجابة من الرسول الكريم لتثلج صدر الصحابي الجليل، وحينها يأتى آخر ليسأله ﷺ، بما سأله به الصحابي الجليل فأجاب ﷺ سبقك بها عُكّاشة، وفي ذلك ما فيه من الاهتمام بشأن من سبق إلى فكرة، وحفظ له ﷺ حق السبق إليها، وجعله أولى الناس بها، وفي ذلك بيان لحماية الملكية الفكرية وأحقية صاحب الفكرة الأولى بها، وعدم التعدي من الغير عليها.

وفي السياق النبوي ترغيب في الوصول إلى جنته تعالى، والحث على تعلق القلوب به وحده، ويعتمد الترغيب على إثارة الانفعالات، كما كان للاستفهام دور هام في إدارة الحوار بين الصحابة والرسول ﷺ ، فتأتي الإجابة منه ﷺ شافية كافية لتتمكن في النفس فضل تمكن.

وألفاظ الحديث تصطف مع بعضها البعض كعقد من لؤلؤ، متعانقة مع معانيها، لتقرر غرضًا منشودًا، وهو حرص الرسول ﷺ على أمته، بإرشادها لما ينفعها في الدنيا وفي الآخرة.

والمتأمل في بلاغة البيان النبوي يلحظ الإنسجام الصوتي في تكوين كلماته، وتناسق جمله.

وإذا ما تطرقنا إلى الانسجام الصوتي الوارد في السياق من خلال الفواصل النبوية باعتبارها عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية في الإعجاز النبوي الذي يمتاز بحسن الإيقاع مع الانسجام الصوتي، ليس على مستوى الحرف المتمثل في الروى فقط، وإنما يتجاوزه إلى الكلمات والجمل ؛ لأنها تأتي تلك الفواصل في ختام كل فقرة حاملة تمام المعنى مع التوافق الصوتي في آن واحد وذلك في قوله: **" هم الذين لا يَسْتَرقُون، ولا يَتطيّرُون، ولا يَكتْووُن، وعلى ربهم يتوكلون "**.

فتقع في الأسماع محدثة ذلك النغم ؛ فتتأثر بها نفوس السامعين، كما كان للأسلوب الحواري دور بارز في أن يجعل للحروف وللكلمات تأثير في النفس

البشرية، والسمو بالمشاعر الإنسانية لما له من أثر واضح في تحقيق اليقظة النفسية فيكون أدعى للامتثال والاستجابة.

كما كان لتغاير إيقاعات الألفاظ وتموجها من المد بالألف في (لا) إلى المد بالواو في " **يسترقون، يتطيرون، يكتوون**" ما يزيد من إيحائها وتوكيدها في النفس " مما يدعم الدلالة بشحن تعبيرية ذات أثر بالغ في نفس المتلقي"[١] فتكون أكثر تأثيرًا وإلحاحًا للنفس على التحلي بتلك الخصال.

****

ومن هنا يتضح لنا أن البيان النبوي قد خاطب العقل ووجهه لغايات سامية، وأهداف جليلة، من أهمها حماية صاحب الفكرة الأولى، وجعله أحق الناس بها، وعدم التعدي عليها من الغير، ومن ذلك أيضًا ما ورد عن أبي هريرة -ﷺ- قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلسًا وهو يتكلم، فقال: " **مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حتَّى أَقْضِيَ له مَقَالِتي، ثُمّ يَقْبِضْهُ إليه، فَلَنْ يَنْسَى شيئًا سَمِعَهُ مِنِّي، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ حتى إذا قَضَى النبي ﷺمقالته قبضتها إليّ، فَوَالذِي بَعَثَهُ بالحَقِّ ما نَسِيتُ شيئًا بعد سَمِعْتُهُ مِنْهُ**"

قال سفيان: قال المسعودي وقام آخر يبسط رِدَاءَهُ، فقال النبي: ﷺ سبقك بها الغلام الدوسي" [٢].

وفي الحديث الشريف بيان لأسباب كثرة رواية أبي هريرة للحديث عن رسول الله ﷺ حينما تعجب الصحابة من أنه ﷺ يحدث أكثر من غيره من المهاجرين والأنصار، فنقل السنة أمر جليل، ومسؤولية كبيرة، فأخبر أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أكثر الأحاديث، وكان لذلك السبق ببسط ردائه، وتلك الدعوة المباركة من النبي ﷺ أثر كبير في كثرة روايته عنه ﷺ.

وهي معجزة نبوية، وفي الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة ﷺ، كما أن

---

(١) العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي دراسة أسلوبية ص ٧٤ د/ بثينة خضر محمد سيد أحمد (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب – جامعة البصرة ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

(٢)البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٦٧٧/٦ ح٦٩٢١، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه،١٦٦/٧ ح٦٥٥٢.

فيه الحث على طلب العلم، وبيان فضله، وبيان أحقية السبق لصاحب الفكرة الأولى وعدم التعدي عليها.

ويلحظ أن البيان النبوي بنى المعنى على الشرط والجزاء ؛ ليلفت الأذهان، ويوقظ الأنفس، وينبه الأسماع إلى أهمية نقل السنة، فهي مسؤولية عظيمة، لا يتحملها إلا من هو أهل لها.

وقد تصدر أسلوب الشرط (**مَنْ**) الذي يفيد معنى العموم [١] أي عموم الصحابة، كما يفيد معنى الربط بين جملتين الشرط والجزاء، وهو لا يستخدم إلا مع الذات العاقلة، فجملتا الشرط والجواب تشتركان في ذات عاقلة واحدة غير محددة، معبر عنها بكلمة (**مَنْ**)، وهذا النوع في التركيب الشرطي الذي يتصدره اسم الشرط (**مَنْ**) يطلق عليه اسم مُشْبِهًا الشرط "[٢] وهو عبارة عن الربط بين جملتي الشرط برابط الذات العاقلة لا برابط السببية، بمعنى ألا يكون جملة الشرط سببًا في جملة الجواب.

وجاءت جملة الشرط فعلية فعلها مضارع (**من يبسط**) للدلالة على الاستقبال، كما أن الفعل المضارع هنا دل على التجدد والحدوث، فكلما يبسط أحدهما رداءه نال بركة دعاءه ﷺ فلا ينسى مقالته ﷺ.

كما أن في الفعل المضارع تصويرًا واستحضارًا لصورة البسط والقبض إلى الصدر ؛ كي تتمكن الصورة في النفس، فيتأكد المعنى في الذهن.

ولكي يتضح المعنى أكثر في ذهن السامع، وتظهر الفائدة جاء تقييد المسند بالمفعول (رداءه) ؛ وذلك لتربية الفائدة، وتقويتها لدى السامع لما هو معروف من " أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحًا وتخصيصًا، تكون فائدته أتم وأكمل " [٣].

وقد صاغه في صورة المعرفة (رداءه) فهو مضاف إلى الضمير للإشارة إلى ملكية الرداء له لا لغيره.

---

(١) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها محمد الأنطاكي – بيروت – دار الشرق العربي – ط ٣، ٢/ ٦٩.

(٢) السابق ٢/ ٦٨.

(٣) ينظر الإيضاح للخطيب القزويني ص ٨٨، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

وتتجلى بلاغة المجاز المرسل في قوله: " يبسط رداءه" والمقصود يبسط بعض رداءه فأطلق الكل وأراد الجزء لعلاقة الكُلية وذلك " لئلا يلزم كشف العورة "[١].

وتأتي جملة: **(حتى أقضي له مقالتي)** مُعلنة ومبينة ما يكون عليه طالب العلم من الإنصات والانتباه لما يلقيه المعلم حتى تصادف قلبًا واعيًا متيقظًا، فتتمكن مقالته في النفس فضل تمكن.

وآثر التعبير بـ **(حتى)** التي تفيد انتهاء الغاية، للإشارة إلى أن على المتعلم أن يتمهل إلى أن تنتهي مقالة المعلم ؛ فيستبطنها ويفهم ما فيها من دروس وعبر.

وفي التعبير بالفعل المضارع " أقضي" ما يفيد التجدد والحدوث للحفظ وعدم النسيان كلما انقضت مقالته ﷺ وفيه استحضار للصورة لتتمكن في الذهن.

كما أن في حرف الجر اللام في **(له)** ما يفيد الملكية، التي تنطوي على المنفعة والفائدة لمن يبسط رداءه حتى يقضي مقالته له لا لغيره، ومما ساعد على التماسك النصي إضافة الضمير الهاء في **(له)** الذي يربط الجملة بسابقتها، ففيه إحالة ظاهرة، وهي إحدى سبل السبك النصي التي يتقوى بها التركيب ترابطًا واتصالاً والتحامًا.

وتآزر على ذلك المعنى تقديم الجار والمجرور (له) فقال: **"أقضي له مقالتي"** ولم يقل: أقضي مقالتي له، وذلك لإفادة التخصيص، مما يدخل على النفس المسرة والتفاؤل، وكأن مقالته ﷺ تخصه وحده دون غيره ممن كان في المجلس، فتصادف نفسًا متيقظة واعية فيأتي الجزاء بعد ذلك متمكنًا في الذهن فضل تمكن.

ومما يعمل على إظهار المعنى وتوضيحه تقييد المسند بالمفعول " مقالتي" وذلك لتربية الفائدة، وفي الإضافة إليه ﷺ تعظيم وتشريف لتلك المقالة.

ويأتي العطف بـ (ثم) في قوله: " ثم يقبضه إليه" لتكتمل الصورة وتتضح، ولحرف العطف (ثم) أثر كبير في تكثيف المعنى حتى تكتمل الصورة في ذهن المتلقي تمامًا، ففعل **(القبض)** في **(يقبضه)** آثر عطفه بـ (ثم) وذلك لإفادته معنى الترتيب والمهلة والتراخي والانفصال "[٢]، ولو عطف بالفاء وقيل (فيقبضه)

---

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٢/ ١٨٣.

(٢) مغني اللبيب ٩/ ١٢٤، وانظر رصف المباني في شرح حروف المعاني ٢٥٠ للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ط دار القلم ط ٢ / ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

لزال الكلام عن موضعه وعن مطابقة الواقع والمألوف، إذ أن الرسول ﷺ مازال يقضي مقالته فيتأملها الصحابة، ويتذوقونها، وينصتون لما فيها من أوامر ونواهي، ثم بعد ذلك يقبض رداءه إليه.

ولاستكمال الصورة واستحضارها في الذهن عبر بالفعل المضارع (يقبضه) وكأنها ماثلة أمام الأعين فتتمكن في النفس فضل تمكن.

كما دل بالفعل المضارع (يقبضه) بتجدد وحدوث القبض بعد البسط حين انقضاء مقالته ﷺ.

ويتعاون على إبراز المعنى وإظهاره التقييد بحرف الجر "إليه" وفيه ما يفيد الاختصاص بقبض الرداء إليه هو.

ومن أهم روافد النغم في الحديث الشريف التضاد بين **"يبسط"** و**"يقبض"** وهذا مما يزيد الكلام حسنًا وطرافة.

وهذا الطباق بالإضافة إلى ما أحدثه من جمال ورونق في الكلام، فإنه أضفى على المعنى مزيدًا من الإيضاح والتأكيد.

وبناء المعنى من المتضادات " من غرابة التناسج وملاحته ما هو أوغل في النفس من البناء بين المتناظرات ؛ لأن إقتران المتناظرات في ذواتها، وأجناسها، وأصواتها أمر متوقع، بينما اقتران المتضادات في ذواتها وأجناسها وأصواتها وأشكالها أمر أبعد من التوقع، ثم إذا ما تولد هذا انسجام كان ذلك أقوى تأثيرًا في النفس من أن يخرج الشيء من غير معدنه أكثر لفتًا وتأثيرًا في النفس"[١].

وتترابط اللبنات الدلالية وتتشابك لتدور في فلك المعنى المراد فيأتي جواب الشرط " فلن ينسى شيئًا سمعه مني " متلاحقًا مع فعل الشرط ؛ ليربط النتيجة بالمقدمة ويعلقها على الشرط، ولا ريب أن مسؤولية نقل الكلمة عن رسول الله ﷺ مهمة خطيرة، فمن يحظى بها فقد وصل إلى الهدف المرجو، وهو سرعة الحفظ وعدم النسيان.

ومن العناصر اللغوية التي تجلت في جواب الشرط، هذا التعبير الدقيق الذي

---

(١) علم البديع عند الشيخ أبو موسى ص ٤٨ كتبه وعلق عليه د/ محمود توفيق محمد سعد ط ١ / مكتبة وهبة القاهرة ١٤٤٠ه / ٢٠١٩م.

يفيض سموًا ورفعة: " فلن ينسى شيئًا" إذ يحمل خبرًا يقينًا ووعدًا حقًا بهذا، وهو حفظ ما يقوله، وعدم نسيانه، وهو الوعد الحق من قبل تلك الذات القائلة، تضمن تحقق ذلك الجزاء الموعود به، أضف إلى ذلك ما أفاده حرف النفي **(لن)**، وإيثاره دون **(لا)**، وذلك لاختصاصها بالنفي في المستقبل مع تأكيد النفي في كل منهما لنفي الحال إلا أن **(لن)** تفيد تأكيد النفي في المستقبل، كما كان لاقتران جواب الشرط بالفاء وجوبًا في " **فلن**" ما يفيد الحسم والجزم بذلك الجزاء الموعود به.

وترى النفي في " فلن ينسى" يلهج بالثناء على معلم البشرية الذي علم الإنسانية، وحرص على انتقال العلم بطريق آمن، وهو التعهد بعدم النسيان لما ينقله، فأنار الطريق للبشرية بنور العلم، فأشرق غاية الإشراق.

ولنتأمل دقة التعبير بصيغة فعل المضارع المنفي في " فلن ينسى" ففيه ما يدل على تجدد وحدوث عدم النسيان في كل مرة يقضي له ﷺ مقالته.

وتعاون على توضيح المعنى تقييد المسند بالمفعول (شيئًا) وذلك لزيادة الفائدة.

ومن دقة الأسلوب أن آثر تنكير "شيئًا" وذلك لإفادة العموم أى لن ينسى أي شيء قليلاً كان أم كثيرًا سمعه منه ﷺ.

وفي الالتفات من الفعل المضارع "ينسى" إلى الفعل الماضي " سمعه " ما يجدد نشاط السامع ويجذب انتباهه.

كما أن في التعبير بالفعل الماضي (سمعه) ما يفيد تحقق وقوع السمع منه ﷺ.

ويفيض المعنى ترابطًا والتحامًا لتقييد الفعل سمع بالمفعول الهاء في (سمعه) لعوده على ما سبق.

وتعاون على توضيح المعنى تقييد المسند بالجار والمجرور "مني"، كما أن في الإضافة إليه ﷺ تعظيم وتشريف لما يلقيه ﷺ.

وكما كان الرسول ﷺ حريصًا على نقل السنة، وعدم نسيان الصحابة منها شيء كذلك كان حرص الصحابة، فأقدم أبو هريرة – الغلام الدوسي – يبسط رداءه حتى إذا قضى ﷺ مقالته قبضها إليه، وأقسم أنه لن ينسى شيئًا سمعه منه ﷺ.

واستكمالاً لهذه الصورة وتأكيدًا على هذا الحرص من قبل الصحابة قام آخر ليفعل ما فعله أبو هريرة إلا أن الرسول ﷺ حفظ لأبي هريرة هذا السبق وتلك المبادرة وقال: سبقك بها الغلام الدوسي، وقياسًا على ذلك أن كل من سبق

إلى شيء فهو أحق به ولا يجوز التعدي عليه.

وبالروعة التعبير بالنسق النبوي في وضع كل لفظة في مكانها متألقة، متآلفة بين ما قبلها وما بعدها.

ويتجلى جمال الإيقاع النبوي في حشد تلك المؤثرات الموحية، واللمسات الواضحة في إيقاعات متوازنة، لها طابع متميز، سواء في أسلوب الأداء التعبيري، أو أسلوب الأداء الموسيقي.

ولننظر إلى هذا الجمال في البيان النبوي، فمن روافد النغم في السياق أن طغى صوت السين في قوله: " **تبسط – بسطت – ينسى – سمعه** " هذا الصوت الصفيري المهموس، فكان له دور هام في إبراز الألفاظ بروزًا متميزًا، فتبدوا أكثر لفتًا للإنتباه، وأشد جلبًا للأسماع ؛ لما تمتاز به الكلمات من دلالات محورية.

كما كان للطباق بين البسط في (**يبسط**) والقبض في (**يقبض**) ما يكسب المعنى جمالاً ويلبسه حلة وبهاء.

فالمطابقة هنا تسهم في تشكيل المعنى وإضفاء الطابع الإيقاعي من ترديد نغم المتضادات وتجاورها مع غيرها داخل السياق " فتختلف دلالات الألفاظ تبعًا لموقعية الأصوات، وتكتسب بُعدًا دلاليًا آخر يتناسب مع السياق النصي، فلكل صوت إيحاءاته وقيمه الأسلوبية الموائمة للسياق"[١].

كما يتميز الأسلوب بروح حوارية ترتفع معه النغمة الصوتية المعبرة عن النشاط الإنفعالي والنفسي حيث بنى الأسلوب النبوي الكلام على الشرط الذي أفاد ذلك التماسك النصي، والتلازم التركيبي.

ومن هنا لي أن أقول أن البيان النبوي أسهم إسهامًا كبيرًا في تقرير حماية الملكية الفكرية، ودعا إلى عدم التعدي على حقوق الآخرين، وحفظ الحق لمن سبق إلى الفكرة، ومنع غيره من التعدي عليها

***

(١) ينظر الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم محمد فريد عبد الله ص ٢٢ دار مكتبة الهلال بيروت ط ١ / ٢٠٠٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليّ نعمته بأن أعانني على إتمام هذا البحث، وأغدق عليّ عطاءه وكرمه، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، والصلاة والسلام على نبينًا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج من أبرزها:

١- تتسم ألفاظ الحديث النبوي بالوضوح في الدلالة، والدقة في التعبير، والبعد عن الغموض والتكلف والغرابة والوحشية، واتسمت المعاني بغنى الأفكار، وثرائها، وعمقها، وجدتها وإحكامها، وتجدد عطائها، وغوصها في أعماق النفس الإنسانية.

٢- وتميز الأسلوب النبوي بجمعه بين الجزالة في المفردات والديباجة، والوضوح في الدلالة، والدقة في الوصف والتعبير، والإبداع في التشبيه والتصوير، كما تجلت الموسيقى الرائعة في الألفاظ، والإيجاز في القول.

٣- ويبدو واضحًا في الأحاديث النبوية التماسك النصي بمستوييه الشكلي والدلالي، فقد تجلى التماسك بين الجمل في السياق النبوي تماسكًا قويًا مع الجمل السابقة واللاحقة بهما، حتى يغدو الحديث بتراكيبه بمنزلة الجملة الواحدة، فتنوعت الروابط بين الجمل، والتي أحدثت لونًا من التماسك النصي، وتقوية أواصر التركيب ومنها أسلوب الشرط، وحروف العطف **(الواو والفاء وثم)**، كما كان للضمائر دور بارز في الربط بين الجمل وبين سابقتها فهي تمثل أهمية في تحقيق تماسك النص شكلاً ودلالة، إذ تسهم في تشكيل المعنى وإبرازه بشكل واضح.

- كما كان للفصل والوصل بين الجمل أهمية كبيرة في تماسك النص وتقوية أواصره، فكان ناطقًا بدقة البلاغة النبوية، وإعجاز الأسلوب النبوي، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٤- وتبرز ملامح الحوار النبوي وبلاغته في الأحاديث النبوية، وتتجلى فيه كيفية

---

(١) سورة هود: ٨٨.

وصول الرسول ﷺ إلى نفوس الصحابة، والدخول إلى أعماقهم، كما تتعدد فيه الوظائف اللغوية والدلالة، وتعددت طرائق الحوار المتبادل بين الرسول والصحابة، وتتنوع أساليبه في معالجته للقضايا وحله للمشكلات، وقدرته على إعادة الأمور إلى صوابها ونصابها، وتوثيق العلاقة بين طرفي الحوار بين الرسول ﷺ والصحابة ؛ لتحقيق مقاصد معينة، منها: دفعهم إلى التساؤل، أو ترغيبهم في الجواب، أو الاستماع إلى أجوبتهم، ثم مناقشتهم، وبيان وجه الصواب فيها، وخاصة في الأحاديث التي تدعو إلى الفكر، فوظف فيها أساليب تعبيرية مختلفة منها: أسلوب الاستفهام وكان الغرض منه النصح والإرشاد أو التشويق إلى ما سيلقى عليهم من توجيهات لتتمكن في الذهن فضل تمكن.

٥- تعددت ألوان التصوير في الحديث النبوي، وكان منها:

- التصوير بالكلمة، والعلاقة بين الكلمة وتصوير المعنى هي أساس إيصاله إلى المخاطب، وهي لون من ألوان التصوير يظهر فيه إبداع قائله، وامتلاكه ناصية البيان.
- وبجانب التصوير بالكلمة كان هناك التصوير بالإشارة والذي يهدف إلى توضيح المعنى وتأكيده.
- كما كان للتصوير بالموسيقى دور بارز وأساسي في إظهار المعنى، فلا شك أن روافد الجمال والبلاغة في اللغة العربية كثيرة: ومن أعلاها تآلفها الصوتي وانسجام حروفها وكلماتها وجملها في منظومة تجعل من الكلام قطعة متفاعلة العناصر متآلفة الأجزاء "والعربية في أي أفق من آفاق البيان بها لغة هي لغة الإيقاع المتجدد " [١].

وتنوع النغم الموسيقي في الحديث ما بين النغم الصوتي للألفاظ، والنغم المعنوي، فمن النغم الصوتي تأتيك الموسيقى من خلال أصوات الحروف والحركات داخل الكلمة، ومن اختيار الكلمات واصطفاء موقعها داخل الجملة، أما النغم المعنوي فيأتي من التقابل والتناظر والتوازن والتكافؤ ورد الأعجاز على الصدور وغيره من

---

(١) العزف على أنوار الذكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة ص ١٧٩، د / محمود توفيق ط ١ – ١٤٢٤ه.

الأمور المعنوية التي اتسمت بها الأحاديث.

٦- وتنوعت الأساليب في الأحاديث ما بين خبرية وإنشائية وكان لكل منهما موضعه الذي يتطلبه السياق، وغلب على الأحاديث محل الدراسة الأسلوب الخبري ؛ وذلك لأن تقرير مضمون الملكية الفكرية وعدم التعدي على الحقوق بسرقة الفكرة، والاحتفاظ بملكية من سبق إليها أمور يغلب عليها خصائص الأسلوب الخبري.

٧- جاء أسلوب التأكيد في أحاديث الرسول □ بكثرة ملحوظة ؛ لأنه ما من حديث إلا جاء مؤكدًا لفكرة أو مؤسسًا لمبدأ، لذا تنوعت طرق التأكيد في الحديث الشريف، واختلفت بحسب حال المخاطب، فجاء التأكيد بالجملة الإسمية وبإن، وبتكرير اللفظ، وبتأكيد مضمون الجملة إلى غير ذلك من المؤكدات.

٨- كان التشويق عنصرًا أساسيًا من العناصر البارزة في الأحاديث – محل الدراسة – وعلامة من علاماتها الواضحة، وذلك لجذب انتباه الصحابة، ولفت أنظارهم وذلك ليصادف المعنى عقلاً متيقظًا، فيتمكن في الذهن فضل تمكن.

وختامًا:

فهذا ما من الله به عليّ فإن وفقت فذلك فضل من الله وإن أخطأت فحسبي أنني اجتهدت وعليه توكلت.

الباحثة

فهرس المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين للغزالي – تقديم بدوي طبانة – دار صادر- بيروت.
٢- أسد الغابة لأبي الحسين علي بن أبى الكرم عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) تحقيق / علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٣- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي د/ ابتسام أحمد حمدان، توفيق أحمد عبد الله فرهود – دار القلم، الطبعة الأولى – ١٩٩٧م.
٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٢) هـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.
٥- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧م.
٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦) – دار الكتاب العربي٠بيروت- الطبعة الثامنة-١٤٢٥-٢٠٠٥م
٧- الأعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
٨- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام / عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة – بيروت.
٩- الإيضاح للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩ هـ) تحقيق محمد خفاجي – دار الجيل – بيروت.
١٠- الإيضاح للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت.
١١- البرهان في علوم القرآن للزركشي – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين ابن يعقوب الفيروزابادي – المكتبة العلمية – بيروت.
١٣- البلاغة في القرآن والسنة د/ عزة جدوع – مكتبة الرشد – الطبعة الأولى.
١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق د/ بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

١٤- تاريخ الفكر الفلسفي محمد أبو ريان – الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ط ٣ – ١٩٩٣م.
١٥- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣) الدار التونسية للنشر.
١٦- التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ – المكتب الإسلامي بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٧- التعبير الفني في القرآن الكريم بكري شيخ آمين.
١٨- التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم د/ عبد العظيم المطعني – مكتبة وهبة ط ٢ – ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
١٩- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري – دار المعرفة بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٠- الجنى الداني في حروف المعاني – تأليف / أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة – أ/ محمد نديم فاضل – دار الآفاق الجديدة – بيروت.
٢١- حاشية محي الدين زادة على تفسير القاضي البيضاوي – دار التراث – بيروت لبنان.
٢٢- الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته د/ محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
٢٣- حماية المالكية الفكرية في الشريعة الإسلامية مكة المكرمة– جامعة أم القرى – ناصر الغامري.
٢٤- خصائص التراكيب أ.د/ محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة - الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٥- خصائص التراكيب أ.د/ محمد محمد أبو موسى – دار التضامن للطباعة ١٩٨٠م - الطبعة الثانية.
٢٦- الخصائص لابن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) – دار الكتب المصرية – الطبعة الثانية، تحقيق / محمد علي النجار.
٢٧- دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي – دار المعرفة – الطبعة الثانية – بيروت - لبنان.
٢٨- دلالات التراكيب " دراسة بلاغية " أ.د/ محمد أبو موسى، الطبعة الثانية –

مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
٢٩- دلائل الإعجاز للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – ودار المدني بجدة – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٣٠-رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي تحقيق د/ أحمد محمد الخراط – دار القلم - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٣١- السمات البلاغية في بيان النبوة د / صباح عبيد دراز – مكتبة وهبة – القاهرة – ٢٠١٣م.
٣٢- السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ خلف – دار البشير للثقافة والعلوم – الطبعة الأولى.
٣٣- سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت.
٣٤- سنن الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
٣٥- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) التحقيق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٣٦- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله بن محمد الجرجاني الأزهري المعروف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ) ط أولى، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.
٣٧- شروح التلخيص وهي (مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، دار السرور بيروت.
٣٨- صحيح البخاري بتحقيق د/ مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣٨- الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم محمد فريد عبد الله – مكتبة الهلال طبعة أولى ٢٠٠٨م.
٣٩- العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي دراسة أسلوبية د/ بثينة

خضر محمد سيد أحمد (أطروحة دكتوراة) كلية الآداب – جامعة البصرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٤٠- العزف على أنوار الذكر. معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة لدكتور / محمود توفيق.
٤١- علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى – كتبه وعلق حواشيه د/ محمود توفيق محمد سعد – الطبعة الأولى – مكتبة وهبة القاهرة ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩م.
٤٢- علم المعاني. دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني د/ بسيوني فيود – مؤسسة المختار – دار المعالم الثقافية ١٩٩٨م.
٤٣- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لأبي محمد بن أحمد ابن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني تحقيق: محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان الطبعة الثالثة.
٤٥- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري – تحقيق حسام الدين المقدسي – دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٦- الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي- الطبعة الثالثة - دار الفكر – بيروت.
٤٧- الفكر طبيعته وأهميته لعبد الكريم بكار – دار المعارف ٢٠٠٥م.
٨- الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية – فاروق أبو زيد – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٩٧م.
٤٩- القاموس المحيط للفيروزابادي – طبعة دار صادر – بيروت – لبنان – ١٩٩٢م.
٥٠- قضايا في الفكر المعاصر محمد عابد الجبري – بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية.
٥١- الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) شرحه وراجعه / يوسف الحمادي – مكتبة مصر.
٥٢- لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.
٥٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت.

٥٤- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها لمحمد الأنطاكي – دار الشرق العربي – الطبعة الثالثة.
٥٥- مختار القاموس للطاهر بن محمد الرازي دار عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٥٦- المدخل الفقهي العام الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد / مصطفى الزرقا – دار الفكر بيروت – الطبعة التاسعة.
٥٧- المصباح المنير / أحمد الفيومي المقري – مكتبة لبنان ط ١٩٨٧م.
٥٨- معجم الصحابة للبغوي (ت: ٣١٧هـ) تحقيق / محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٥٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – مجدي وهبة، وكامل المهندس مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٤م.
٦٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) تحقيق: مازن المبارك – محمد علي حمد – راجعه سعيد الأفغاني – دار الفكر- بيروت.
٦١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق / محمد سيد كيلاني – دار المعرفة بيروت.
٦٢- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف د / فتحية محمد فرج العمدة. الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٦٣- موسوعة القواعد الفقهية لمحمد صدقي آل بورنو – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.
٦٤- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار لأبي محمد بدر الدين العيني (ت:٨٥٥هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٦٥- الوافي بالوفيات للصفدي (ت: ٧٦٤هـ) – تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى – دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٦٦- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٠٢٥
المقدمة	١٠٢٧
التمهيد	١٠٣١
المبحث الأول: بلاغة السنة النبوية في الدعوة إلى الفكر	١٠٣٥
الحديث الأول: " إذا حكم الحاكم فاجتهد... الخ	١٠٣٥
الحديث الثاني: " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها..."	١٠٣٩
الحديث الثالث: " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم...."	١٠٤٦
المبحث الثاني: بلاغة السنة النبوية في حمايتها للملكية الفكرية.	١٠٥٣
الحديث الأول: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره..."	١٠٥٣
الحديث الثاني: " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور..."	١٠٦٦
الحديث الثالث: " يدخل من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب..."	١٠٧١
الحديث الرابع: " من يبسط رداءه حتى أقضي له مقالتي..."	١٠٧٦
الخاتمة	١٠٨٢
المصادر والمراجع	١٠٨٥
فهرس الموضوعات	١٠٩٠